

## المقدمة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

قال الشيخ الفقيه الإمام العالم العامل للعلامة المحدث أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الانصاري الخزرجي الأندلسي ثم القرطبي، رضي الله عنه:

الحمد لله المبتدئ بحمد نفسه قبل أن يحمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الرب الصمد الواحد، الحي القيوم الذي لا يموت؛ ذو الجلال والإكرام، والمواهب العظام؛ والمتكلم بالقرآن، والخالق للإنسان، والمنعم عليه بالإيمان، والمرسلُ رسوله بالبيان، محمداً ﷺ ما اختلف الملوك<sup>(١)</sup>، وتعاقب الجديدان<sup>(٢)</sup>؛ أرسله بكتابه المبين، الفارق بين الشك واليقين؛ الذي أعجزت الفصحاء معارضته، وأعيت<sup>(٣)</sup> الألباء مناقضته، وأخرست البلغاء مشاكلته<sup>(٤)</sup>؛ فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. جعل أمثاله عبراً لمن تدبرها، وأوامره هدى لمن استبصرها؛ وشرح فيه واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، وكرر فيه المواعظ والقصص للأفهام، وضرب فيه الأمثال، وقص فيه غيب الأخبار؛ فقال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] خاطب به أوليائه ففهموا، وبين لهم فيه مراده فعلموا. فقرأ القرآن حملاً سر الله المكتون، وحفظه علمه المخزون، وخلفاء أنبيائه وأمازه، وهم أهله وخاصته وخيرته وأصفياءه؛ قال رسول الله ﷺ: «إن لله أهلين منا» قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: «هم أهل القرآن أهل الله وخاصته» أخرجه ابن ماجه في سننه، وأبو بكر البزار في مسنده<sup>(٥)</sup>. فما أحق من علم كتاب الله أن يزدجر بنواحيه، ويتذكر ما شرح له فيه، ويخشى الله ويتقيه، ويراقبه ويستحيه. فإنه قد حمل أعباء الرسل، وصار شهيداً في القيامة على من خالف من أهل الملل؛ قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] ألا وإن الحجة على من علمه فأغفله، أوكد منها على من قصر عنه وجهله. ومن أوتي علم القرآن فلم يتتبع، وزجرته نواحيه فلم يرتدع وارتكب من المآثم قبيحاً، ومن إخراجهم فضوحاً؛ كان القرآن حجة عليه، وخصماً لديه، قال رسول الله ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك»<sup>(٦)</sup> أخرجه مسلم. فالواجب على من خصه الله بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته، ويستدبر

(١) الملوك: الليل والنهار، وقيل: طرفا النهار والأول هو المقصود هنا. لسان العرب «ملا» لابن منظور.

(٢) الجديدان: الليل والنهار؛ لأنهما لا يبيان أبداً. النهاية في غريب الحديث (٣/ ١١١) لابن الأثير.

(٣) أعيت: يقال: عي بالامر عياً، وعيى، وتعابا واستعيا وهو عي، وعيى، وعيان: عجز عنه ولم يطق حكمه. اللسان «عيا».

(٤) مشاكلته: شكّل بالفتح: الشبه والمثل، وتشاكل الشيطان: شابه أحدهما الآخر. اللسان «شكل».

(٥) صحيح: ابن ماجه (٢١٥) في المقدمة، وأحمد (٣/ ١٢٧، ١٢٨)، في المسند، وصححه في مصباح الزجاجه

(١/ ٢٩) كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني (٢/ ٢١٠) في التعليق الرغيب، وفي

الضعيفة تحت الحديث رقم (١٥٨٢).

(٦) صحيح: قطعة من حديث رواه مسلم (٢٢٣/ ١) في الطهارة، عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

حقائق عبارته؛ ويفتَهَم عجائبه، ويتبيَّن غرائبُه؛ قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]. وقال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]. جعلنا الله ممن يرعاه حق رعايته، ويتدبَّره حق تدبُّره؛ ويقوم بقسطه<sup>(١)</sup>، ويوفي بشرطه، ولا يلتبس الهدى في غيره؛ وهذان لأعلامه الظاهرة، وأحكامه القاطعة الباهرة، وجمع لنا به خير الدنيا والآخرة، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة<sup>(٢)</sup>. ثم جعل إلى رسوله ﷺ بيان ما كان منه مجملاً، وتفسير ما كان منه مُشْكِلاً<sup>(٣)</sup>، وتحقيق ما كان منه محتملاً؛ ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به، ومنزلة التفويض إليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. ثم جعل إلى العلماء بعد رسول الله ﷺ استنباط ما نبه على معانيه، وأشار إلى أصوله ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد؛ فمتازوا بذلك عن غيرهم، ويختصوا بثواب اجتهادهم؛ قال الله تعالى: ﴿يُرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]. فصار الكتاب أصلاً والسنة له بياناً<sup>(٤)</sup>، واستنباط العلماء له أيضاً وتبياناً. فالحمد لله الذي جعل صدورنا أوعية كتابه، وأذاننا موارد سنن نبيه؛ وهَمَمْنَا مصروفةً إلى تعلُّمهما والبحث عن معانيهما وغرائبهما؛ طالبين بذلك رضاً رب العالمين، ومتدرجين به إلى علم الملة والدين.

وبعد:

فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، الذي استقل بالسنة والقرآن، ونزل به أمين

(١) قسطه: القسط: الحصة والنصيب. يقال: أخذ كل واحد من الشركاء حصته، وكل مقدار فهو قسط. للسان «قسط».

(٢) عدَّ القرطبي في «الأسني» في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٦٣) «هذا اسماً من أسماء الله تعالى استناداً إلى وروده في الآية (٥٦) من سورة المدثر».

(٣) سيأتي تفصيل ذلك عند الآية (٧) من سورة آل عمران.

(٤) وللسنة مع القرآن مراتب:

أ - فقد توافقه فيكون هذا من باب تضافر الأدلة على موضوع واحد: كحرمه الزنا ووجوب الصلاة.

ب - وتفصل مجمله كتقييد عدد الصلوات.

ج - وتقييد مطلقه كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨]، فقيدت

السنة السرقة بنصاب الزكاة، وجعلت القطع في الرسخ اليميني.

د - وتخصص عامه، كقوله تعالى: ﴿وَأَحِلُّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ٢٤]، فحرمت الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.

هـ - وتوضح مشكله، كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فبيَّن الحديث: أن الشرك هو الظلم العظيم.

و - وتبسط مختصره، كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، فقد جاءت القصة كاملة كما في حديث كعب بن مالك.

ز - وقد تأتى السنة بحكم جديد كتغريب الزانى غير المحصن. إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٩) لابن قيم الجوزية وما بعدها، وانظر (رسالة منزلة السنة في الإسلام، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن) للعلامة الألباني - رحمه

الله - ضمن محاضرة طبعت كمقدمة لفتح الجنة للسيوطي - رحمه الله.

السماء إلى أمين الأرض<sup>(١)</sup>، رأيتُ أن أشتغل به مَدَى عمري، وأستفرغ فيه مَتِي<sup>(٢)</sup> بأن أكتب فيه تعليقاَ وجيزاً، يتضمَّن نُكْتاً<sup>(٣)</sup> من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات؛ والرّد على أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات؛ جامعاً بين معانيهما، ومبيناً ما أشكل منهما؛ بأقاريل السلف، ومَن تبعهم من الخلف. وعَمَلته تذكرةً لنفسي، وذخيرةً ليوم رَمْسِي<sup>(٤)</sup>، وعملاً صالحاً بعد موتي. قال الله تعالى: ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانَ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]. وقال تعالى: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الإنفطار: ٥]. وقال رسول الله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»<sup>(٥)</sup>.

وشرطي في هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائلها، والأحاديث إلى مصنفها؛ فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله. وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مُبْهِمًا، لا يعرف مَن أخرجَه إلا من اطلع على كتب الحديث، فيسقى مَن لا خبرة له بذلك حائراً، لا يعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل منه الاحتجاج به، ولا الاستدلال حتى يضيفه إلى مَن خرّجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام. ونحن نُشير إلى جُمَل من ذلك في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب، وأضرب عن كثير من قَصَص المفسرين، وأخبار المؤرخين، إلا ما لا بدُّ منه ولا غنى عنه للتبيين واعتضت<sup>(٦)</sup> من ذلك تبيين آي الأحكام، بمسائل تُسفر عن معناها، وتُرشد الطالب إلى مقتضاها؛ فضمّنت كل آية تتضمن حكماً أو حكمين فما زاد، مسائل نبيّن فيها ما تحوي عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب والحكم؛ فإن لم تتضمن حكماً ذكرت ما فيها من التفسير والتأويل، هكذا إلى آخر الكتاب<sup>(٧)</sup>.

وسمّيته بـ «الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنته من السنّة وآي الفرقان».

جعلَه الله خالصاً لوجهه، وأن ينفعني به والدي ومن أراده بمتّ؛ إنه سميع الدعاء، قريب مجيب؛ آمين.

(١) أمّا أمين السماء فهو جبريل عليه السلام لقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. وأمين الأرض هو

النبي ﷺ لقوله: «أمين في الأرض أمين في السماء».

(٢) متي: قوتي. مختار الصحاح (ص ٦٣٦).

(٣) نكتا: النكتة: الفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس، أو هي المسألة العلمية الدقيقة يُتوصل إليها بدقة وإحكام فكر.

الوجيز (ص ٦٣٣).

(٤) رمسي: الرمس: هو تراب القبر، وقيل: القبر نفسه، وأصل الرمس: الستر والتغطية. لسان العرب «رمس».

(٥) صحيح: مسلم (١٦٣١/ ١٤) في الوصية، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) اعتضت: من العوض وهو البدل. لسان «عضد».

(٧) وقد سار - رحمه الله - على هذا الشرط، فلن يخالفه حتى نهاية الكتاب.

## باب ذكر جمل من فضائل القرآن،

## والترغيب فيه، وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعاقل به

اعلم أن هذا الباب واسع كبير، ألف فيه العلماء كتباً كثيرة، نذكر من ذلك نكتاً تدل على فضله، وما أعد الله لأهله، إذا أخلصوا الطلب لوجهه، وعملوا به. فأول ذلك: أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين، غير مخلوق<sup>(١)</sup>، كلام من ليس كمثلته شيء، وصفة من ليس له شبيه ولا ند، فهو من نور ذاته جل وعز؛ وأن القراءة أصوات القراء ونغماتهم، وهي أكسابهم التي يؤمرون بها في حال إيجاباً في بعض العبادات، وتدباً في كثير من الأوقات؛ ويترجون عنها إذا اجتنبوا، ويشابون عليها ويعاقبون على تركها. وهذا مما أجمع عليه المسلمون أهل الحق، ونظقت به الآثار، ودل عليها المستفيض من الأخبار<sup>(٢)</sup>؛ ولا يتعلق الثواب والعقاب إلا بما هو من أكساب<sup>(٣)</sup> العباد، على ما يأتي بيانه. ولولا أنه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله؛ ليتدبروه وليعتبروا به، وليتدبروا ما فيه من طاعته وعبادته، وأظن جفوة وفرائضه، لضعفت ولا ندكت<sup>(٤)</sup> بثقله، أو لتضعفت<sup>(٥)</sup> له وأنى تطيقه؛ وهو يقول تعالى جدّه وقوله الحق: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]. **قال** قوة القلوب من قوة الجبال!

(١) دعوى (خلق القرآن) بدعة ابتداعها الجهم بن صفوان المحدث الزنزيق في أواخر عهده التابعين، وقد تلقاها الجهم بن درهم الذي تلقاها بدوره عن بيان بن سميان، والذي أخذها عن طلوت ابن أمية لعبيد بن الأعصم، وأخذها طلوت عن خاله ليبيد وهو الذي سحر النبي ﷺ، ولا زال المتدهمة يتلغونها حتى وصلت إلى شيخ المعتزلة: (بشر بن غياث بن أبي كريمة الريسي) وهو أحد الذين أصلوا الخليفة المأمون، وظن أن ما به بشره - قبحه الله - (٢١٩هـ)، ثم تقلد القضاء ورئاسة المذهب المظلول أحمد بن أبي دؤاد - قبحه الله - فحرض المأمون على القول بخلق القرآن، وحشسه على التكفل بأهل السنة وأهل الحديث، فأصابهم ما أصابهم من الحبس والضرب والقتل، وأشهر من نالهم من التعذيب وغير ذلك: إمام أهل السنة: أحمد بن حنبل - رحمه الله - وقد ابتلى ابن أبي دؤاد بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه الله تعالى سنة أربعين ومائتين للهجرة. وفي «معارج القبول» للشيخ حافظ بن أحمد دكسى - رحمه الله - ص ١٧٣ قال: «أما القرآن فنسى عقيدة أهل السنة هو: كلام الله تبارك وتعالى لفظاً ومعنى، وهو المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتهواتر نهل المصع عن الجمع بما تحيل العادة تواطؤهم على الكذب» انتهى.

(٢) المستفيض من الأخبار أو الأحاديث هو: الحديث المشهور، ولكن الجماعة التي اشتهرت برواياته كانت في البداية والنهية سواء، أي: تساوى فخذها الهارون في كل طبقات الرواية ابتداءً من الشيخ الذي كان متفرداً، وإلى نهاية السلسلة التي تنقل الحديث «علوم الحديث» ص ٢٣٠ للطبراني.

(٣) قصد هنا عقيدة أهل السنة بوجود مشيئة للعقل تالية للمشيئة لله تعالى لقوله سبحانه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ

اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩].

(٤) **تهلك**: اندك المكان: وذلك الشراب يدقه دكاً؛ كسبه وسواه، وذلك الأرض دكاً: سوى صموهها وهبوطها. اللسان «دكك».

(٥) تضعفت: الضعفة: المضموع والذليل؛ ولله ضعفه الأمر فضعف... ورجل ضعيف: لا رأي له. ولا حزم، وتضعيف الرجل: هملف وخط جسمه ومرض وحزن، وضعفه، أي: هدمه حتى الأرض. اللسان «ضعف».

ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شاء أن يوزقهم؛ فضلاً منه ورحمة.

### وأما ما جاء من الآثار في هذا الباب:

فأول ذلك ما أخرجه الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي؛ أعطيته أفضل ما أعطي السائلين قال: وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه». قال: هذا حديث حسن غريب<sup>(١)</sup>. وروى أبو محمد الدارمي السمرقندي في مسنده عن عبد الله قال: السبع الطول<sup>(٢)</sup> مثل التوراة، والمثون<sup>(٣)</sup> مثل الإنجيل، والمثنائي مثل الزبور، وسائر القرآن بعد فضل<sup>(٤)</sup>. وأسند عن الحارث<sup>(٥)</sup> عن علي رضي الله عنه وأخرجه الترمذي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فنن كقطع الليل المظلم». قلت: يا رسول الله وما المخرج منهما؟ قال: «كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشعب معه الآراء، ولا يشعب منه العلماء، ولا يملكه الأتقياء ولا يخلق<sup>(٦)</sup> على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا:

(١) حسن غريب: الترمذي (٢٩٢٦) في فضائل القرآن، وضمنه الألباني (١٣٣٥) في الضعيفة.

(٢) قال السيوطي - رحمه الله (١/ ١٨١، ١٨٢) في الإتيان: السبع الطول: «أولها البقرة وآخرها براءة، كذا قال جماعة؛ لكن أخرج الحاكم والنسائي وغيرهما عن ابن عباس قال: السبع الطول: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف قال الراوي: وذكر السابع قد نسبتها، وفي رواية صحيحة عن ابن أبي حاتم وغيره عن سعيد بن جبير أنها يونس». قلت: كذا في تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٧٢)، وتقدم عن ابن عباس مثله في النوع الأول، وفي رواية عند الحاكم أنها الكهف.

(٣) والمثون: ما وليها، سميت بذلك؛ لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقاربها. والمثنائي: ما ولي المئين؛ لأنها ثنتها، أي: كانت بعدد ما، فهي لها ثوان، والمثون لها أوائل. وقال الفراء: هي السورة التي آياتها أقل من مائة، لأنها تثنى أكثر مما يثنى الطول. وقال في «جمال الفراء»: هي السورة التي ثبتت فيها القصص، وقد تطلق على القرآن كله وعلى الفاتحة. والمفصل: ما ولي المثنائي من قصار السور، سُمي بذلك؛ لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة، وقيل: لقلة المنسوخ منه، ولهذا يسمى بالمحكم أيضاً. قلت: رواه البخاري (٥٠٣٤) في فضائل القرآن: عن سعيد بن جبير قال: «إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم، وأخره سورة الناس بلا نزاع» انتهى.

(٤) غيبه انقطاع: الدارمي (٢/ ٤٥٣) في فضائل القرآن، وفيه المسيب بن رافع عن ابن مسعود ولم يسمع منه. هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، تابعي، قال ابن المديني: كذاب، وروى مغيرة عن الشعبي قال: حدثني الحارث الأعور، وكان كذاباً. وقال أبو بكر بن عباس عن مغيرة: ولم يكن الحارث يصدق عن علي في الحديث. ميزان الاعتدال (٢/ ١٧٠)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٢٦). وقلت: وضعفه النسائي والدارقطني.

(٦) يخلق: يبلى. اللسان «خلق»

إننا سمعنا قرآناً عجياً ، من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم ، خذها إليك يا أعور<sup>(١)</sup> . «الحارث» رماه الشعبي بالكذب وليس بشيء ، ولم يبين من الحارث كذب ، وإنما نُقِمَ عليه إفراطه في حب عليّ وتفضيله له على غيره . ومن ها هنا والله أعلم كذبه الشعبي ؛ لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر ، وإلى أنه أوّل من أسلم . قال أبو عمر بن عبد البر : وأظنّ الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني : حدثني الحارث وكان أحد الكذابين .

وأُسند أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنباري<sup>(٢)</sup> النحوي اللغوي في كتاب «الردّ على من خالف مصحف عثمان» عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «إن هذا القرآن مادة الله فتعلموا من مادته ما استطعتم ، إن هذا القرآن جبل الله وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة من تمسك به ، ونجاة من اتبعه ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعجب ، ولا تنفضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الردّ ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما إنني لا أقول : ألم حرف ولا ألّفين أحدكم واضعاً إحدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة ، فإن الشيطان يفرّ من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة وإن أصفر البيوت من الخير البيت الصّفر من كتاب الله»<sup>(٣)</sup> . وقال أبو عبيد في غريبه عن عبد الله قال : إن هذا القرآن مادة الله فمن دخل فيه فهو آمن . قال : وتأويل الحديث : أنه مثلّ ، شبه القرآن بصنع صنعه الله عز وجل للناس ، لهم فيه خير ومنافع ، ثم دعاهم إليه . يقال : مادةٌ ومادبةٌ فمن قال : مادةٌ ؛ أراد الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس . ومن قال : مادةٌ ؛ فإنه يذهب به إلى الأدب ، يجعله مفعلة من الأدب ، ويحتج بحديثه الآخر : «إن هذا القرآن مادة الله عز وجل فتعلموا من مادته»<sup>(٤)</sup> . وكان الأحمر يجعلهما لفتين بمعنى واحد ، ولم أسمع أحداً يقول هذا غيره . قال : والتفسير الأوّل أعجب إليّ .

وروى البخاري عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ قال : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»<sup>(٥)</sup> . وروى مسلم عن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ : «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأثرجة ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرّ ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثّل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مرّ»<sup>(٦)</sup> . وفي رواية : «مثل الفاجر» بدل «المنافق» . وقال

(١) ضعيف : الترمذي (٢٩٠٦) في فضائل القرآن ، وقال : «حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات ، وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال ، وضعفه الألباني (٢١٣٨) في المشكاة .

(٢) هو أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم النحوي كان صدوقاً فاضلاً (ت ٣٢٨هـ) ، وله كتاب غريب الحديث ، والوقف والابتداء .

(٣) ضعيف : الحاكم (١/ ٥٥٥) في المستدرک ، وصححه الدارمي (٢/ ٤٣١) في سننه عن ابن مسعود ، وضعفه الألباني رحمه الله (٢٠٢٤) في ضعيف الجامع .

(٤) ضعيف مرفوع صحيح موقوف : انظر : ضعيف الجامع (٢٠٢٤) ، والصحيحة (٢/ ٢٦٤) للألباني .

(٥) صحيح : البخاري (٥٠٢٧) في فضائل القرآن ، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٦) صحيح : مسلم (٧٩٧/ ٢٤٣) في صلاة المسافرين وقصرها .

البخاري: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة...» وذكر الحديث<sup>(١)</sup>.

وذكر أبو بكر الأنباري: وقد أخبرنا أحمد بن يحيى الحلواني، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا هشيم، ح<sup>(٢)</sup>، وأبنا إدريس، حدثنا خلف حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب: أن أبا عبد الرحمن السلمي كان إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه، ووضع يده على رأسه وقال له: يا هذا، اتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك إن علمت بالذي علمت<sup>(٣)</sup>. وروى الدارمي عن وهب الذمري قال: من آتاه الله القرآن فقام به آتاء الليل وآتاء النهار، وعمل بما فيه ومات على الطاعة، بعثه الله يوم القيامة مع السفرة والأحكام<sup>(٤)</sup>. قال سعد: السفرة الملائكة، والأحكام الأنبياء.

وروى مسلم عن عائشة قالت: قل رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»<sup>(٥)</sup>. التتعتع: التردد في الكلام عياً وصعوبة؛ ولما كان له أجران من حيث التلاوة، ومن حيث المشقة؛ ودرجات الماهر فوق ذلك كله؛ لأنه قد كان القرآن متعتماً عليه، ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة. والله أعلم. وروى الترمذي عن عبد الله ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف». قال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقد روي موقوفاً<sup>(٦)</sup>. وروى مسلم عن عتبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة؛ فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان»<sup>(٧)</sup> أو إلى العقيق<sup>(٨)</sup> فيأتي منه بناقتين كوماوين<sup>(٩)</sup> في غير إثم ولا قطع رحم» فقلنا: يا رسول الله، كلنا نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل»<sup>(١٠)</sup>.

(١) صحيح: البخاري (٥٠٢٠) في فضائل القرآن.

(٢) هذا الرمز عند المحدثين: رمز لتحويل الإسناد إذا كان للحديث أكثر من إسناد وهي مأخوذة من: حال بين الشيتين «شرح النووي (١/ ٣٨) على صحيح مسلم».

(٣) فيه يحيى بن عبد الحميد إن كان الحمال فهو ضعيف، وإن كان ابن عبد الرحمن بن ميمون بشهيد فهو ضعيف أيضاً فالأثر: ضعيف، والعوام بن حوشب مختلف فيه.

(٤) رواه الدارمي (٢/ ٤٤٤) في سننه.

(٥) متفق عليه: البخاري (٤٩٣٧) في التفسير بنحوه، ومسلم (٧٩٨/ ٢٤٤) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٦) صحيح مرفوع وموقوف: الترمذي (٢٩١٠) في فضائل القرآن، وصححه الألباني هناك - ط مكتبة المعارف - الرياض.

(٧) بطحان: بضم الباء وإسكان الطاء: موضع بقرب المدينة. «النوي (٣/ ٣١٥) على شرح مسلم».

(٨) العقيق: هو واد من أودية المدينة مسيل للماء، وعقيق آخر يدفق ماؤه في غوري تهامة، وهو الذي ذكره الشافعي في المناسك فقال: ولو أهلوا من العقيق أحب إلي. انتهى.

(٩) كوماوين: بفتح الكاف، قال النووي: «الكوما من الإبل: العظيمة السنام. انظر: النووي على شرح مسلم (٣/ ٣١٥)».

(١٠) صحيح: مسلم (٣/ ٨٠٣) في صلاة المسافرين وقصرها.

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا؛ نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا ؛ سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَادَرَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» (١).

وروى أبو داود والنسائي والدارمي والترمذي عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة ، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة» . قال الترمذي : حديث حسن غريب (٢) . وروى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «يجيء القرآن يوم القيامة فيقول : يا ربِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تاج الكرامة ثم يقول : يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول : يا رب ارض عنه فيرضى عنه ، فيقال له : اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة» . قال : حديث صحيح (٣) . وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ : «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (٤) . وأخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة : اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه» (٥) .

وأسد أبو بكر الأنباري عن أبي أمامة الحمصي قال : قال رسول الله ﷺ : «من أعطى ثلث القرآن فقد أعطي ثلث النبوة ، ومن أعطي ثلثي القرآن فقد أعطي ثلثي النبوة ، ومن قرأ القرآن كله فقد أعطي النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه ، ويقال له يوم القيامة : اقرأ وارق ، فيقرأ آية ويصعد درجة حتى ينجز (٦) ما معه من القرآن ثم يقال له اقْبُضْ فيقبض ثم يقال له : أنتدري ما في يديك؟ فإذا في يده اليمنى الخلد وفي اليسرى النعيم» (٧) .

حدثنا إدريس بن خلف ، حدثنا إسماعيل بن عياش عن تمام عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «من أخذ ثلث القرآن وعمل به ، فقد أخذ أمر ثلث النبوة ، ومن أخذ نصف القرآن وعمل به ،

(١) متفق عليه : البخاري (٢٤٤٢) في المظالم والغصب ، ومسلم بلفظه (٢٦٩٩ / ٣٨) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار .

(٢) صحيح : أبو داود (١٣٣٣) في التطوع ، والترمذي (٢٩١٩) في فضائل القرآن ، والنسائي (٨٠ / ٥) في الزكاة ، ولم أرف عليه في سنن الدارمي ، وصححه الألباني (٣١٠٥) في صحيح الجامع .

(٣ ، ٤) حسن : أبو داود (١٤٦٤) في الصلاة ، والترمذي (٢٩١٥) في فضائل القرآن ، وصححه الألباني في الموضوعين .

(٥) صحيح : ابن ماجه (٣٧٨٠) في الأدب ، وصححه الألباني هناك ، و(٢٢٤٠) في الصحيحة ، و(٨١٢٢) في صحيح الجامع .

(٦) ينجز : يقضى . اللسان «نجز» .

(٧) موضوع : كذا قال الشوكاني (ص ٣٠٦) في الفوائد المجموعة ، وأعله بـ (بشر بن نمير) وهو كذاب يضع كما قال

فقد أخذ أمر نصف النبوة ومن أخذ القرآن كله فقد أخذ النبوة كلها<sup>(١)</sup>. قال: وحدثننا مجاهد بن يحيى المروزي، أنبأنا محمد وهو ابن سعدان، حدثنا الحسين بن محمد عن حفص عن كثير بن زاذان عن عياض بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ القرآن وتلاه وحفظه؛ أدخله الله الجنة وشفعه<sup>(٢)</sup> في عشرة من أهل بيته كل قد وجبت له النار<sup>(٣)</sup>. وقالت أم الدرداء: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها: ما أفضل من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة، فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن<sup>(٤)</sup>. ذكره أبو محمد مكِّي. وقال ابن عباس: من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب؛ وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿مَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٧٣]. قال ابن عباس: فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة. ذكره مكِّي أيضاً. وقال الليث: يقال ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى يحيى بن سعيد.

(١) ضعيف جداً: الشوكاني (ص ٣٠٦) في الفوائد المجموعة، وفيه إرسال الحسن وهو تابعي وثقة يهلس. وانظر: اللآلئ (١/ ١٢٦) للسيوطي.

(٢) قلت: الشفاعة: طلب الخير للغير بالتوسط له عند من لديه حاجة للمشفوع له. قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]. وقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ هَهُنَا إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [عب: ٢٣]. فأبطل الله تعالى طلب الشفاعة من الأموات والأوليين والصالحين وغيرهم، فهي ملك لله تعالى لا يستطيع أحد أن يشفع لأحد إلا بإذنه تعالى ورضاه. والحكمة من الشفاعة: أنها إكرام الشافع وبيان منزلته عند الله، ونفع للمشفوع له. وللنبي ﷺ شفاعات منها:

أ - الشفاعة العظمى الخاصة به ﷺ من بين الأنبياء والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وهي لصرف الناس من أرض المحشر إلى الحساب والفضل بينهم وإراحتهم من هول الموقف حين تدنو الشمس من الرؤوس.

ب - شفاعته في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم لدخول الجنة.

ج - شفاعته في قوم أمر بهم إلى النار لثلاث بدخلوها.

د - شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم.

هـ - شفاعته في أترام له دخلوا الجنة بغير حساب.

و - شفاعته في تطهير العذاب عن مستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب.

ز - شفاعته في أهل الكباير من أمته.

ح - وشفاعته ليردن لجميع المؤمنين بدخول الجنة.

وللمؤمنين الملائكة، والنبين شفاعات، كما أن لشهداء وحفظة القرآن كذلك شفاعات، لا تكون إلا بإذنه سبحانه.

انظر: شرح العقيدة الطحاوية - بتخریج الشيخ الألباني - رحمه الله - (ص ٢٢٩ - ٢٣٩)، ط دار المكتب الإسلامي.

(٣) ضعيف جداً: الترمذي (٢٩٠٥) في فضائل القرآن، وقال: «له إسناده صحيح»، وضعفه الألباني هناك.

(٤) حسن معروف: ابن أبي شيبة (٧/ ٥٥) في المصنف، ورفعته البيهقي (١١٩٨) في الشعب، عن عائشة رضي الله عنها.

مستمع القرآن؛ لقول الله جل ذكره: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، و «لَعَلَّ» من الله واجبة (١) .

وفي مُسْنَد أبي داود الطيالسي - وهو أول مُسْنَد أُلْفَ في الإسلام عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: «من قام بعشر آيات لم يُكْتَب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كُتِب من القانتين، ومن قام بألف آية كُتِب من المقنطرين» (٢) . والآثار في معنى هذا الباب كثيرة، وفيما ذكرنا كفاية، والله الموفق للهداية.

### باب كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى،

#### وما يكره منها وما يحرم، واختلاف الناس في ذلك

روى البخاري عن قتادة قال: سألت أنساً عن قراءة رسول الله ﷺ فقال: كان يمدّ مداً إذا قرأ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يمدّ بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم (٣) .  
وروى الترمذي عن أم سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ يَقْطَع قراءته يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم يقف ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ثم يقف، وكان يقرؤها ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ . قال: حديث غريب . وأخرجه أبو داود بنحوه (٤) .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أحسن الناس صوتاً من إذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى» (٥) .  
وروي عن زياد النُمَيْرِي أنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقيل له: اقرأ . فرفع صوته وطرب، وكان رفيع الصوت، فكشف أنس عن وجهه، وكان على وجهه خرقه سوداء فقال: يا هذا، ما هكذا كانوا يفعلون وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقه عن وجهه . وروي عن قيس بن عباد أنه قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر . ومن روي عنه كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن سعيد بن المسيب (٦) ، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد، والحسن، وابن سيرين، والنخعي، وغيرهم، وكرهه مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل؛ كلهم كره رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه (٧) . روي عن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم الناس فطرب

(١) انظره عند الآية (٢٠٤) من سورة الأعراف .

(٢) صحيح : أبو داود (١٣٩٨) في الصلاة ، وصححه الألباني (٦٤٣٩) في صحيح الجامع .

(٣) صحيح : البخاري (٥٠٤٥ ، ٥٠٤٦) في فضائل القرآن .

(٤) غريب : أبو داود (٤٠٠١) في الحروف والقراءات ، والترمذي (٢٩٢٧) في القراءات، وصححه الألباني (٣٤٤٣) في الإرواء .

(٥) صحيح : الطبراني (٣ / ١٠١) في الكبير ، وصححه الألباني (١٥٨٣) في الصحيحة .

(٦) هو أبو محمد سعيد بن حزن بن أبي وهب عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المدني ولد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان سيد التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الفقه والعبادة ، والحديث والزهد والورع ، وهو المشار إليه المنصوص عليه ، كان أعلم الناس بحديث أبي هريرة ، وبقضايا عمر ، وقال مكحول : طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم من ابن المسيب ، روى عن علي ، وعثمان ، وسعد ، وأبي هريرة وغيرهم وتوفي (٩٣هـ) وقيل بعدها .

(٧) وهذا ما كرهه جمهور العلماء ، كما في مجموع الفتاوى (٥ / ٨٣) لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والحوادث والبدع

في قراءته؛ فأرسل إليه سعيد يقول: أصلحك الله إن الأئمة لا تقرأ هكذا. فترك عمر التطريب بعد.  
وروي عن القاسم بن محمد: أن رجلاً قرأ في مسجد النبي ﷺ فطرب؛ فأنكر ذلك القاسم وقال:  
يقول الله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].  
الآية.

وروي عن مالك أنه سئل عن التبر<sup>(١)</sup> في قراءة القرآن في الصلاة؛ فأنكر ذلك وكرهه كراهة  
شديدة، وأنكر رفع الصوت به. وروى ابن القاسم عنه أنه سئل عن الأحنان في الصلاة فقال:  
لا يعجبني، وقال: إنما هو غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم. وأجازت طائفة رفع الصوت بالقرآن  
والتطريب به؛ وذلك لأنه إذا حسن الصوت به كان أوقع في النفوس وأسمع في القلوب، واحتجوا  
بقوله عليه السلام: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ؛ رواه البراء بن عازب. أخرجه أبو داود والنسائي<sup>(٢)</sup>.  
ويقوله عليه السلام: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» أخرجه مسلم<sup>(٣)</sup>. ويقول أبي موسى للنبي ﷺ:  
لو أعلم أنك تستمع لقراءتي لحيرته لك تحبيراً<sup>(٤)</sup>. وبما رواه عبد الله بن مفضل قال: قرأ رسول الله  
ﷺ عام الفتح في مسير له سورة «الفتح» على راحلته فرجع في قراءته<sup>(٥)</sup>. ومن ذهب إلى هذا أبو  
حنيفة وأصحابه والشافعي وابن المبارك والنضر بن شميل، وهو اختيار أبي جعفر الطبري وأبي الحسن  
ابن بطال والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم.

قلت: القول الأول أصح لما ذكرناه ويأتي. وأما ما احتجوا به من الحديث الأول فليس على  
ظاهره، وإنما هو من باب المقلوب، أي: زَيَّنُوا أَصْوَاتِكُمْ بِالْقُرْآن. قال الخطابي: وكذا فسره غير واحد  
من أئمة الحديث: زَيَّنُوا أَصْوَاتِكُمْ بِالْقُرْآن؛ وقالوا هو من باب المقلوب؛ كما قالوا: عَرَضْتُ الْحَوْضَ  
على الناقة، وإنما هو عرضت الناقة على الحوض. قال: ورواه معمر عن منصور عن طلحة؛ فقدم  
الأصوات على القرآن، وهو الصحيح.

قال الخطابي: ورواه طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء أن رسول الله ﷺ قال:  
«زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ»، أي: أَلْهَجُوا بقراءته واشغلوا به أصواتكم واتخذوه شعاراً وزينة؛ وقيل:

(١) التبر: عند العرب هو ارتفاع الصوت، يقال: نبر الرجل نبرة: إذا تكلم كلمة فيها علو.. وكل شيء ارتفع  
نبرة. اللسان «نبر».

(٢) صحيح: أبو داود (١٤٦٨) في الصلاة، والنسائي (١٣٩/٢) في الافتتاح، وابن ماجه (١٣٤٢) في إقامة  
الصلاة والسنة فيها، كلهم عن البراء رضي الله عنه، وصححه الألباني (٣٥٨٠) في صحيح الجامع.  
قلت: وله رواية عن أبي هريرة عند أبي نصر الحشري، وعن ابن عباس كما عند الطبراني، وعند أبي نعيم عن  
عائشة رضي الله عنها.

(٣) متفق عليه: البخاري (٧٥٢٧) في التوحيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم (٧٩٢) في صلاة المسافرين  
وقصرها بنحو.

(٤) صحيح بشواهده: أحمد في المسند (١٧٢/١)، وكذا ذكره الهيثمي (٣٦٠/٩) معزواً للطبراني بسند فيه خالد بن  
نافع الأشعري، وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وصححه الحافظ (٩٣/٩) في الفتح.

(٥) متفق عليه: البخاري (٥٠٣٤) في فضائل القرآن، ومسلم (٧٩٤/٢٣٧) في صلاة المسافرين وقصرها.

معناه الحض على قراءة القرآن والدُّؤوب<sup>(١)</sup> عليه. وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «زَيَّنُوا أصواتكم بالقرآن»<sup>(٢)</sup>، وروي عن عمر أنه قال: حَسَّنُوا أصواتكم بالقرآن<sup>(٣)</sup>.

قلت: وإلى هذا المعنى يرجع قوله عليه السلام: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن»<sup>(٤)</sup> أي: ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن؛ كذلك تأوله عبد الله بن أبي مليكة. قال عبد الجبار بن الورد: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبد الله بن أبي يزيد: مر بنا أبو لُبَّابة فاتبعناه حتى دخل بيته، فإذا رجل رَثَّ<sup>(٥)</sup> الهيئة، فسمعتة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن». قال فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمد، رأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسنه ما استطاع. ذكره أبو داود<sup>(٦)</sup>، وإليه يرجع أيضاً قول أبي موسى للنبي ﷺ: «إني لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحسنت صوتي بالقرآن، وزينته ورتلته. وهذا يدل [على] أنه كان يَهْدُ<sup>(٧)</sup> في قراءته مع حسن الصوت الذي جبل عليه. والتحبير: التزيين والتحسين» فلو علم أن النبي ﷺ كان يسمعه لمد في قراءته ورتلها؛ كما كان يقرأ على النبي ﷺ؛ فيكون ذلك زيادة في حسن صوته بالقراءة. ومعاذ الله أن يتأول على رسول الله ﷺ أن يقول: إن القرآن يُزَيَّن بالأصوات أو بغيرها؛ فمن تأول هذا فقد واقع أمراً عظيماً أن يُخَوِّج القرآن إلى من يزينه، وهو النور والضياء والزين الأعلى لمن ألبس بهجته واستنار بضيائه. وقد قيل: إن الأمر بالتزيين اكتساب القراءات وتزيينها بأصواتنا وتقدير ذلك، أي: زينوا القراءة بأصواتكم؛ فيكون القرآن بمعنى القراءة، كما قال تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ [الإسراء: ٧٨]، أي: قراءة الفجر، وقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]، أي: قراءته. وكما جاء في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو قال: إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان عليه السلام، ويوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآناً<sup>(٨)</sup>؛ أي قراءة. وقال الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

ضَحُوا بِأَشْمَطَ عَنَوانِ السُّجُودِ بِهِ يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآناً<sup>(٩)</sup>

أي: قراءة، فيكون معناه على هذا التأويل صحيحاً إلا أن يخرج القراءة التي هي التلاوة عن

(١) الدُّؤوب: من دأب، أي: وجد وتعب، كما في مختار الصحاح (ص ١٨٣).

(٢) صحيح: وقد سبق.

(٣) منقطع: ابن أبي شيبة (١١٨ / ٦) في المصنف، عن إبراهيم عن عمر رضي الله عنه.

(٤) متفق عليه. وقد سبق.

(٥) رث: الرث والرثة والرثيث: الخلق الخسيس البالي من كل شيء والجمع رثاث. اللسان «رث».

(٦) حسن صحيح: أبو داود (١٤٧١) في الهلافة، والبيهقي (١ / ٥٥٨) في السنن الصغرى، و(٢ / ٥٤) في الكبرى وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٧) يَهْدُ: الهذ هو سرعة القطع وسرعة القراءة. اللسان «هذ».

(٨) صحيح موقوف: مسلم في المقدمة (١ / ٩٦) مع شرح النووي، وحمله النووي على أن المعنى هو: (تقرأ شيئاً ليس بقرآن وتقول: إنه قرآن لتغري به عوام الناس فلا تغيرون).

(٩) هو حسان بن ثابت رضي الله عنه وهو هاعر النبي ﷺ (ت ٥٤هـ).

وَالشَّمْطُ - بفتح حين: بياض شعر الرأس يخالط سواده، والرجل أشمط والمرأة شمطاء. مختار الصحاح

حدّثها على ما نبيّه فاستمع. وقد قيل: إن معنى يتسغنى به، يستغني به من الاستغناء الذي هو ضد الاستقرار، لا من الغناء؛ يقال: تغنيت وتغانيت بمعنى استغثيت. وفي الصحاح: تغنى الرجل بمعنى استغنى، وأغناه الله. وتغانوا، أي: استغنى بعضهم عن بعض. قال المغيرة بن حبياء التميمي<sup>(١)</sup>.

كَلَامًا غَنِيًّا عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مَتْنَا أَشَدَّ تَغَانِيًا

وإلى هذا التأويل ذهب سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح، ورواه سفيان عن سعد بن أبي وقاص. وقد روي عن سفيان أيضاً وجه آخر، ذكره إسحاق بن راهوية، أي: يستغنى به عما سواه من الأحاديث. وإلى هذا للتأويل ذهب البخاري محمد بن إسماعيل لإتباعه الترجمة بقوله تعالى: «أَوَلَمْ يَكُنْهُمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ» (العنكبوت: ٥١). والمراد الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم؛ قاله أهل التأويل. وقيل: إن معنى يتغنى به: يتحزّن به؛ أي: يظهر على قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته، وليس من الغنية؛ لأنه لو كان من الغنية لقال: يتغاني به، ولم يقل يتغنى به. ذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم: الإمام أبو محمد ابن حبان البستي، واحتجوا بما رواه مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء<sup>(٢)</sup>. (الأيزر [بزوين]: صوت الرعد وغليان القدر. قالوا: ففي هذا الخبر بيان واضح على أن المراد بالحديث التحزّن؛ وعضدوا هذا أيضاً بما رواه الأئمة عن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «اقرأ علي» فقرأت عليه سورة «النساء» حتى إذا بلغت «فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» [النساء: ٤١]، فنظرت إليه فإذا عيناه تدمعان<sup>(٣)</sup>.

فهذه أربعة تأويلات، ليس فيها ما يدل على القراءة بالأحسان والترجيع فيها. وقال أبو سعيد بن الأعرابي في قوله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»<sup>(٤)</sup> قال: كانت العرب تؤلّع بالغناء والنشيد في أكثر أقوالها، فلما نزل القرآن أجبروا أن يكون القرآن هجيراًهم<sup>(٥)</sup> فقال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»<sup>(٦)</sup>.

التأويل الخامس: ما تأوله من استدلاله به على الترجيع والتطريب؛ فذكر عمر بن شبة قال: ذكرث لأبي عاصم النبيل تأويل ابن عيينة في قوله: «يتغن» يستغنى؛ فقال: لم يصنع ابن عيينة شيئاً<sup>(٧)</sup>. وسئل الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال: نحن أعلم بهذا، لو أراد النبي ﷺ الاستغناء لقال: من لم يستغن، ولكن لما قال: «يتغن» علمنا أنه أراد التغني<sup>(٨)</sup>. قال الطبري: المعروف عندنا في كلام العرب

(١) هو المغيرة، وأبوه هو: عمرو بن ربيعة بن أسيد، وحبياء هذه أمه، والبيت في اللسان «غنى».

(٢) صحيح: أبو داود (٩٠٤) في الصلاة، وصححه الألباني هناك، وابن حبان (٣٠/٣) برقم (٧٥٣) في صحيحه.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٠٠/٥) في فضائل القرآن، ومسلم (٨٠٠) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) متفق عليه: ولقد سبق.

(٥) هجيراًهم: الهجيري: الضلبي والعمارة والهددن. النهاية في غريب الحديث (٥/٢٤٥).

(٦) صحيح: ولقد سبق.

(٧) ذكره الطبري (٦٠/١٤) في تفسيره.

(٨) هكذا رواه البيهقي (١/٥٥٩) في سننه الصغرى.

أن التَغْنِيَّ إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع . وقال الشاعر :  
 تَغْنَى بِالشَّعْرِ مَهْمَا كُنْتَ قَائِلَهُ      إِنْ الغِنَاءَ بِهَذَا الشَّعْرِ مَضْمَارُ  
 قال : وأما ادعاء الزاعم أن تَغْنَيْتَ بمعنى استغْنَيْتَ ، فليس في كلام العرب وأشعارها ، ولا نعلم  
 أحداً من أهل العلم قاله ؛ وأما احتجاجه بقول الأعشى :

وَكُنْتُ امْرَأً زَمَنًا بِالْعِرَاقِ      عَفِيفَ الْمُنَاحِ طَوِيلَ التَّغْنِ

وزعم أنه أراد الاستغناء فإنه غلط منه ، وإنما عنى الأعشى في هذا الموضع الإقامة ، من قول  
 العرب : غَنِيَ فلان بِمَكَانٍ كذا ، أي : أقام ؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ﴾ [الاعراف : ٩٢] وأما  
 استشهاده بقوله :

ونحن إذا متنا أشدُّ تَغْنَانِيَا

فإنه إغفال منه ؛ وذلك أن التَغْنَانِيَا تفاعل من نفسين إذا استغْنَى كل واحد منهما عن صاحبه ؛ كما  
 يقال : تضارب الرجلان : إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه . ومن قال هذا في فعل الاثنين لم يجز  
 أن يقول مثله في الواحد ؛ فغير جائز أن يقال : تغانى زيد وتضارب عمرو ؛ وكذلك غير جائز أن  
 يقال : تغنى بمعنى استغنى .

قلت : ما ادعاه الطبري من أنه لم يرد في كلام العرب تغنى بمعنى استغنى ، فقد ذكره الجوهري كما  
 ذكرنا ، وذكره الهروي أيضاً . وأما قوله : إن صيغة فاعل إنما تكون من اثنين فقد جاءت من واحد في  
 مواضع كثيرة ؛ منها قول ابن عمر : وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام<sup>(١)</sup> . وتقول العرب : طارقت النعل ،  
 وعاقبت اللص ، ودأوت العليل ، وهو كثير ؛ فيكون تغانى منها . وإذا احتمل قوله عليه الصلاة و  
 السلام : « يتغن الغناء والاستغناء فليس حملة على أحدهما بأولى من الآخر ، بل حملة على الاستغناء  
 أولى لو لم يكن لنا تأويل غيره ، لأنه مروى عن صحابي كبير كما ذكر سفيان . وقد قال ابن وهب في  
 حق سفيان : ما رأيت أعلم بتأويل الأحاديث من سفيان بن عيينة ، ومعلوم أنه رأى الشافعي وعاصره .

وتأويل سادس : وهو ما جاء من الزيادة في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله  
 ﷺ يقول : « ما أذن الله لشيء ما أذن لني حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به »<sup>(٢)</sup> . قال الطبري :  
 ولو كان كما قال ابن عيينة لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى .

قلنا : قوله : « يجهر به » لا يخلو أن يكون من قول النبي ﷺ ، أو من قول أبي هريرة أو غيره ،  
 فإن كان الأول وفيه بُعد ، فهو دليل على عدم التطريب والترجيع ؛ لأنه لم يقل : يطرب به ، وإنما قال :  
 يجهر به ، أي يسمع نفسه ومن يليه ؛ بدليل قوله عليه السلام للذي سمعه وقد رفع صوته بالتهليل :  
 « أيها الناس اربعوا<sup>(٣)</sup> على أنفسكم فإنكم لستم تدعون أصم ولا غائباً . . . »<sup>(٤)</sup> الحديث ، وسيأتي .

(١) متفق عليه : من قول ابن عباس رضي الله عنهما كما في صحيح البخاري في كتاب العلم (١ / ٤١) ، وعند

مسلم (٤ / ٥٠٤ - ٤٢٤) في الصلاة . وناهزت : قاربت ودنوت .

(٢) متفق عليه : البخاري (٥٠٢٤) في فضائل القرآن ، ومسلم (٧٩٢ / ٢٣٢ - ٢٣٤) في صلاة المسافرين وقصرها  
 واللفظ له .

(٣) اربعوا : من الربيع وهو التوقف والانتظار كما في النهاية (٢ / ١٨١) لابن الأثير ، زاد صاحب اللسان في مادة  
 « ربيع » : أنه الكف والرفق .

(٤) متفق عليه : البخاري (٦٣٨٤) في الدعوات ، ومسلم (٤ / ٢٧٠) في الذكر والدعاء .

وكذلك إن كان من صحابيٍّ أو غيره فلا حجة فيه على ما راموه؛ وقد اختار هذا التأويل بعض علمائنا فقال: وهذا أشبه، لأن العرب تسمي كل من رفع صوته ووالى به غانياً، وفعله ذلك غناء وإن لم يلحنه بتلحين الغناء. قال: وعلى هذا فسرهُ الصحابيُّ، وهو أعلم بالمقال، وأقعد بالحال.

وقد احتج أبو الحسن بن بطال للمذهب الشافعيّ فقال: وقد رفع الإشكال في هذه المسألة ما رواه ابن أبي شيبة قال: حدثنا زيد بن الحُبَاب قال: حدثنا موسى بن عليّ بن رباح عن أبيه عن عتبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا القرآن وغنّوا به واكتبوه»، فوالذي نفسي بيده لهو أشدّ تفصيلاً<sup>(١)</sup> من المخاض من العقل<sup>(٢)</sup>. قال علماؤنا: وهذا الحديث وإن صح سننه فيرده ما يعلم على القطع والبتات من أن قراءة القرآن بلغت متواترة عن كافة المشايخ، جيلاً فجيلاً إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ وليس فيها تلحين ولا تطريب، مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف وفي المدّ والإدغام والإظهار وغير ذلك من كيفية القراءات. ثم إن في الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز ومدّ ما ليس بممدود؛ فترجع الألف الواحدة ألفات والواو الواحدة واوات والشبهة الواحدة شبهات، فيؤدّي ذلك إلى زيادة في القرآن وذلك ممنوع، وإن وافق ذلك موضع نبر وهمز صيروها نبرات وهمزات، والنبرة حيشما وقعت من الحروف فلإنما هي همزة واحدة لا غير؛ إما ممدودة وإما مقصورة. فإن قيل: فقد روى عبد الله بن مُغفَل قال: قرأ رسول الله ﷺ في مسير له سورة «الفتح» على راحلته فرجع في قراءته؛ وذكره البخاري<sup>(٣)</sup> وقال في صفة الترجيع: آءآه، ثلاث مرات.

قلنا: ذلك محمول على إشباع المدّ في موضعه، ويحتمل أن يكون حكاية صوته عند هز الراحلة؛ كما يعتري رافع صوته إذا كان راكباً من انضخاط صوته وتقطيعه لأجل هز المركوب؛ وإذا احتمل هذا فلا حجة فيه. وقد خرج أبو محمد عبد الغنيّ بن سعيد الحافظ من حديث قتادة عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال: كانت قراءة رسول الله ﷺ المدّ ليس فيها ترجيع. وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذن يُطرب، فقال رسول الله ﷺ: «إن الأذان سهل سمح فإذا كان أذنانك سمحاً سهلاً وإلا فلا تؤذّن». أخرجه الدارقطنيّ في سنّته<sup>(٤)</sup>. فإذا كان النبي ﷺ قد منع ذلك في الأذان فأحرى ألا يجوزّه في القرآن الذي حفظه الرحمن، فقال وقوله الحق: «إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩]، وقال تعالى: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» [فصلت: ٤٢].

قلت: وهذا الخلاف إنما هو ما لم يفهم معنى القرآن بتريد الأصوات، وكثرة الترجيعات، فإن

(١) تفصيلاً: يقال تفصيت من الأمر تفصيلاً: إذا خرجت منه وتخلصت. النهاية في غريب الحديث (٣/ ٤٥٢) لابن الأثير.

(٢) صحيح: أحمد (١٧٢٩٤) (٤/ ٥٠) في المسند، وفي المجمع (٧/ ١٦٩) قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح»، وهو عند النسائي (٣٤- ٨٠) في الكبرى، وكنا صححه الألباني (٣٢٨٥) في الصحيحة، وفي صفة الصلاة (١/ ١٢٥)، و(٢٩٦٤) في صحيح الجامع.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٠٤٧) في فضائل القرآن، ومسلم (٧٩٤) في صلاة المسافرين وقصرها.

(٤) ضعيف جداً: الدارقطني (١/ ٢٩٩) في سنّته، وكنا ضحفه الألباني (٦- ١٤) في ضعيف الجامع.

زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق؛ كما يفعل القراء بالديار المصرية الذين يقرؤون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون بحلي ذلك الأجور والجاتر؛ ضلّ سعيهم، وخاب عملهم، فيستحلّون بذلك تغيير كتاب الله، ويهوتون على أنفسهم الاجتراء على الله بأن يزيدوا في تنزيهه ما ليس فيه؛ جهلاً بدينهم، ومبرؤفاً<sup>(١)</sup> عن سنة نبيهم، ورُفهاً لسير الصالحين فيه من سلفهم، ونزوعاً<sup>(٢)</sup> إلى ما يزين لهم الشيطان من أعمالهم؛ وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؛ فهم في غيهم<sup>(٣)</sup> يترددون، ويكتب الله يتلاعبون، فإننا لله وإنا إليه راجعون لكن قد أخبر الصادق أن ذلك يكون، فكان كما أخبر ﷺ.

ذكر الإمام الحافظ أبو الحسين رزين وأبو عبد الله الترمذي الحكيم في «نوادير الأصول» من حديث حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «قرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل العشق ولحون أهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنسج لا يجاوز حناجرهم ٥/ مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم»<sup>(٤)</sup>. اللحن: جمع لحن، وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والغناء.

قال علماؤنا: ويشبه أن يكون هذا الذي يفعله قرءاً زماننا بين يدي الوعاظ، وفي المجالس من اللحن الأعجمية التي يقرؤون بها، ما نهى عنه رسول الله ﷺ. والترجيع في القراءة: ترديد الحروف كقراءة النصاري. والترتيل في القراءة: هو التأنّي فيها والتمهل، وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المرتل، وهو المشبه بنور الاتحوان، وهو المطلوب في قراءة القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزل: ٤]. وسئلت أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته؛ فقالت: ما لكم وصلاته كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى، ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح<sup>(٥)</sup>، ثم نعتت قراءته، فإذا هي نعت قراءة مفسرة حرفاً حرفاً. أخرجه النسائي وأبو داود والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب<sup>(٦)</sup>.

(١) المروق: الخروج. اللسان «مروق».

(٢) النزوع: أصله الجذب والقطع، وسنه: نزع الميفدروحه، ونزع القوس إذا جذبها، ونزع الإنسان: حن واشتاق فهو نزع. اللسان «نزع».

(٣) الغي: الضلال والخبية. مختار الصحاح (ص ٣٠٣).

(٤) ضعيف جداً: الهيثمي (٧/ ١٦٩) في المجمع، وعزاه الطبراني في الأوسط وفيه راو لم يسم، وبقية مدلس وقال الذهبي (٢/ ٣١٣) في الميزان: «تفرد به ببقية عن حصين بن مالك الفزاري، وليس بمعتمد، والخبر منكرو».

وقال ابن الجوزي (١/ ١١٨) في العلل: «هذا حديث لا يصح، وأبو محمد مجهول، وبقية يروي من حديث الضعفاء ويدلسهم».

قلت: وضعفه الألباني (١٠٦٧) في ضعيف الجامع.

(٥) هذه زيادة من الترمذي (٢٩٢٣) وانظر التالي.

(٦) حسن صحيح غريب: أبو داود (١٤٦٦) في الصلاة، والترمذي (٢٩٢٣) في فضائل القرآن، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٢٦٠).

### باب تحذير أهل القرآن والعلم من الرياء وغيره

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. روى مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ اسْتَشْهَدَ فَأَتَيْتُ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتَشْهَدْتَ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنَّ يَقَالَ: جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأَتَيْتُ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأَتَيْتُ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>. وقال الترمذي في هذا الحديث: ثم ضرب رسول الله ﷺ على رُكْبَتِي فقال: «يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>. أبو هريرة اسمه عبد الله، وقيل: عبد الرحمن. وقال: كُنَيْتُ أبا هريرة لأنني حملت هرة في كُمِّي، فرأيت رسول الله ﷺ فقال: «ما هذه؟» قلت: هرة، فقال: «يا أبا هريرة»<sup>(٣)</sup>. قال ابن عبد البر: وهذا الحديث فيمن لم يُرد بعمله وعلمه وجه الله تعالى. وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من طلب العلم لغير الله أو أراد به غير الله؛ فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٤)</sup>.

وخرج ابن المبارك في رفاقته عن العباس بن عبد المطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «يظهر هذا الدِّينَ حتى يجاوز البحار، وحتى تخاض البحار بالخيال في سبيل الله تبارك وتعالى ثم يأتي أقوام يقرأون القرآن فإذا قرؤوه قالوا: مَنْ أقرأنا؟ مَنْ أعلمنا؟» ثم التفت إلى أصحابه فقال: «هل ترون في أولئكم من خير» قالوا: لا. قال: «أولئك منكم وأولئك من هذه الأمة، وأولئك هم وقود النار»<sup>(٥)</sup>. وروى أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «من تعلّم علماً مما يتنغي به وجه الله لا يتعلّمه إلا ليصيب به عَرَضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة». يعني: ربحها. قال الترمذي: حديث حسن<sup>(٦)</sup>. وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من جُبِّ الحزن» قالوا: يا رسول الله وما جب الحزن؟ قال: «وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم في كل

(١) صحيح: مسلم (١٩٠٥ / ١٥٢) في الإمارة

(٢) صحيح: الترمذي (٢٣٨٢) في الزهد، وصححه الألباني هناك. ط الريان.

(٣) كذا في الاستيعاب (٤ / ١٧٧٠) لابن عبد البر رحمه الله.

(٤) ضعيف: ابن ماجه (٢٥٨) في المقدمة، وبنحوه الترمذي (٢٦٥٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما في العلم وضعفه الألباني في الموضعين.

(٥) ضعيف جداً: ابن المبارك (٤٢٥) في الزهد والرفائق، وفيه موسى بن عبيدة الرُبَيْدِي، وهو ضعيف جداً.

(٦) حسن: أبو داود (٣٦٦٤) في العلم، ولم أقف عليه في الترمذي، وصححه الألباني (٦١٥٨) صحيح الجامع.

(٧) الجب: البئر التي لم تُطو. يعني لم تبني بالحجارة. مختار الصحاح (ص ٩١).

يوم مائة مرة» قيل: يا رسول الله ومن يدخله؟ قال: «القرء المراءون بأعمالهم» قال: هذا حديث غريب<sup>(١)</sup>. وفي كتاب أسد بن موسى أن النبي ﷺ قال: «إن في جهنم لوادياً إن جهنم لتتعوذ من شر ذلك الوادي كل يوم سبع مرّات، وإن في ذلك الوادي لجباً إن جهنم وذلك الوادي ليتعوذان بالله من شر ذلك الجب، وإن في الجب حياة وإن جهنم والوادي والجب ليتعوذون بالله من شر تلك الحياة سبع مرات أعدّها الله للأشقياء من حملة القرآن الذي يعصون الله»<sup>(٢)</sup>. فيجب على حامل القرآن وطالب العلم أن يتقي الله في نفسه ويخلص العمل لله، فإن كان تقدّم له شيء مما يكره فليبادر التوبة والإنابة، وليتدبّر الإخلاص في الطلب وعمله، فالذي يلزم حامل القرآن من التحفظ أكثر مما يلزم غيره، كما أن له من الأجر ما ليس لغيره. روى الترمذي عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله في بعض الكتب أو أوحى إلى بعض الأنبياء قلّ للذين يتفقهون لغير الدين، ويتعلمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك<sup>(٣)</sup> الكباش، وقلوبهم كقلوب الذئاب، لستهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرّ من الصبر إياي يخادعون، وبني يستهزئون، لأتيحن لهم فتنة تذرّ الحليم فيهم حيران»<sup>(٤)</sup>.

وخرج الطبري في كتاب «آداب النفوس»: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء، حدثنا المحاربي عن عمرو بن عاصم البجلي عن ابن صدقة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أو من حدّثه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تخادع الله فإنه من يخادع الله، يخدعه الله ونفسه يخدع لو يشعر». قالوا: يا رسول الله ﷺ، وكيف يخادع الله؟ قال: «تعمل بما أمرك الله به وتطلب به غيره واتقوا الرياء فإنه الشرك وإن المرآئي يدعى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد بأربعة أسماء ينسب إليها يا كافر يا خاسر يا غادر يا فاجر ضلّ عملك وبطل أجرك فلا خلاق<sup>(٥)</sup> لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع»<sup>(٦)</sup>. وروى علقمة عن عبد الله بن مسعود قال: كيف أنتم إذا لستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم الكبير، وتتخذ سنة مبتدعة، يجري عليها الناس، فإذا غير منها شيء قيل: قد غيرت السنة.

(١) ضعيف: الترمذي (٢٣٨٣) في الزهد، وضعفه الألباني هناك.

(٢) ضعيف: البيهقي (١٩٠٠) في الشعب، وفيه بكر بن خنيس وهو صدوق وله أغلاط.

(٣) مسوك: ج (مسك) بفتح الميم وتسكين السين المهملة وهو الجلد، وخص بعضهم به جلد السخلة، ثم تخثر حتى صار كل جلد مسكاً. اللسان «مسك».

(٤) ضعيف: الترمذي (٢٤٠٤، ٢٠٤٥) في الزهد، وقد ضعفه الألباني هناك.

(٥) خلاق: حظ من الخير. اللسان «خلق».

(٦) قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] (١/٥٠٦) طبعة دار الخير: «ولاشك أن الله لا يخادع، فإنه العالم بالسرائر والضمائر، ولكن المنافقين لجهلهم وقلة علمهم وعقلهم ويعتقدون أن أمرهم كما راج عند الناس، وجرت عليهم أحكام الشريعة ظاهراً، فكذلك يكون حكمهم عند الله يوم القيامة، وأن أمرهم يروج عنده، كما أخبر تعالى أنهم يوم القيامة يحلفون له أنهم كانوا على الاستقامة والسادات، ويعتقدون أن ذلك نافع لهم عنده كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْتَصِمُونَ لِلَّهِ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨] الآية. وقوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، أي: هو الذي يستدرجهم في طغيانهم وضلالهم ويخدلهم عن الحق والوصول إليه في الدنيا، وكذلك يوم القيامة».

قيل: متى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا كُثِرَ قَرَأُكُمْ، وَقَلَّ فَفَهَاؤُكُمْ، وَكُثِرَ أَمْرَاؤُكُمْ، وَقَلَّ أَمْنَاؤُكُمْ، وَالثَّمَسْتُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَتَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ<sup>(١)</sup>. وقال سفيان بن عيينة: بلغنا عن ابن عباس أنه قال: لو أن حملة القرآن أخذوه بحقه وما ينبغي، لأحبهم الله، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله، وهانوا على الناس<sup>(٢)</sup>. ورؤي عن أبي جعفر محمد بن علي في قول الله تعالى: ﴿فَكَبِّهُوا فِيهَا هُمْ وَالْفَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤]، قال: قوم وصفوا الحق والعدل بالستهم، وخالفوه إلى غيره. وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان في أثناء الكتاب إن شاء الله تعالى.

## باب

### ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يفضل منه

فأول ذلك أن يُخلص في طلبه لله جلّ وعزّ كما ذكرنا، وأن يأخذ نفسه بقراءة القرآن في ليله ونهاره، في الصلاة أو في غير الصلاة لثلاثين سنة. روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثلُ صاحب القرآن كمثلُ صاحب الإبلِ المعلقة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت، وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه»<sup>(٣)</sup>. وينبغي له أن يكون لله حامداً، ولنعمه شاكراً، وله ذاكراً، وعليه متوكلاً، وبه مستعيناً، وإليه راغباً، وبه معتمداً، وللموت ذاكراً، وله مستعداً. وينبغي له أن يكون خائفاً من ذنبه، راجياً عفوّ ربه؛ ويكون الخوف في صحته أغلب عليه، إذ لا يعلم بما يُختم له؛ ويكون الرجاء عند حضور أجله أقوى في نفسه، لحسن الظن بالله. قال رسول الله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسِنُ بالله الظن»<sup>(٤)</sup>. أي: أنه يرحمه ويغفر له. وينبغي له أن يكون عالماً بأهل زمانه، متحفظاً من سلطانه، ساعياً في خلاص نفسه، ونجاة مُهَجَّتِهِ. مقدماً بين يديه ما يقدر عليه من عَرْضِ دنياه، مجاهداً لنفسه في ذلك ما استطاع. وينبغي له أن يكون أهمّ أموره عنده الوَرَعُ في دينه، واستعمال تقوى الله ومراقبته فيما أمره به ونهاه عنه. وقال

(١) ضعيف: ذكره ابن حجر (٢/ ٣٢٠) في المطالب العالية، والزبيدي (٨/ ٢٦٢) في إتحاف السادة المتقين.

(٢) منقطع: وسفيان بن عيينة بينه وبين ابن عباس رضي الله عنهما ما لم تبلغه الأيام والليالي من الرجال.

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٠٣١) في فضائل القرآن، ومسلم (٧٨٩/ ٢٢٦) في صلاة المسافرين وقصرها.

قلت: «والإبل المعلقة»: بضم الميم وتشديد القاف هي المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد ركبته البعير، شبه دارس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ، وخصّ الإبل بالذكر؛ لأنها أشدّ الحيوان الإنسي (الآليف) نفوراً، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة انتهى. الفتح (٩/ ٧٩).

(٤) صحيح: مسلم (٢٨٧٧/ ٨١، ٨٢) في الجنة وصفة نعيمها. وحسن الظن: رجاء الرحمة، والتحلّيز من

القنوط، والحث على الرجاء، وعقيدة أهل السنة الخوف في الحياة، والرجاء في الاحتضار.

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله: «ولكن متى يكون العبد محسناً الظن بالله عز وجل؟ يكون كذلك إذا فعل ما يوجب فضل الله ورحمته، فيعمل الصالحات ويحسن الظن بأن الله تعالى يقبله، أما أن يحسن الظن وهو لا يعمل، فهذا من باب التمنى على الله، ومن أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني وهو عاجز، حسن الظن بأن يوجد من الإنسان عمل يقتضى حسن الظن بالله عز وجل، فمثلاً أحسن الظن بالله بأن الله يقبلها منك، أما أن تحسن الظن بالله مع مبارزتك له بالعصيان فهذا دأب العاجزين الذين ليس عندهم رأس مال يرجعون إليه» انتهى. شرح رياض الصالحين (٢/ ٢٦٦) لابن عثيمين - رحمه الله.

ابن مسعود: ينهني لقارئ القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مستيقظون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخضوعه إذا الناس يختالون<sup>(١)</sup>، وبحزنه إذا الناس يفرحون<sup>(٢)</sup>. وقال عبد الله بن عمرو: لا ينبغي لحامل القرآن أن يخوض مع من يخوض، ولا يجهل مع من يجهل، ولكن يعفو ويصفح لحق القرآن؛ لأن في جوفه كلام الله تعالى. وينبغي له أن يأخذ نفسه بالتصاوت عن طرق الشبهات، ويقل الضحك والكلام في مجالس القرآن وغيرها بما لا فائدة فيه، ويأخذ نفسه بالحلم والوقار. وينبغي له أن يتواضع للفقراء، ويتجنب التكبر والإعجاب، ويتجافى عن الدنيا وأبنائها إن خاف على نفسه الفتنة، ويترك الجدال والمراء، ويأخذ نفسه بالرفق والأدب. وينبغي له أن يكون ممن يؤمن شره، ويؤجى خيره، ويسلم من ضره، وألا يسمع ممن نم عنده؛ ويصاحب من يعاونه على الخير، ويدله على الصدق ومكارم الأخلاق، ويزينه ولا يشينه<sup>(٣)</sup>. وينبغي له أن يتعلم أحكام القرآن. فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه، فيتتبع بما يقرأ ويعمل بما يتلو؛ فما أقيح لحامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو، فكيف يعمل بما لا يفهم معناه؟ وما أقيح أن يسأل عن فقهه ما يتلوه ولا يدره؛ فما مثل من هذه حالته إلا كمثل الحمار يحمل أسفارا. وينبغي له أن يعرف المكي من المدني ليفرق بذلك بين ما خاطب الله به عباده في أول الإسلام، وما نديهم إليه في آخر الإسلام، وما افترض الله في أول الإسلام، وما زاد عليه من الفرائض في آخره. فالمدني هو الناسخ للمكي في أكثر القرآن، ولا يمكن أن ينسخ المكي المدني؛ لأن المنسوخ هو المتقدم في النزول قبل النسخ له. ومن كماله أن يعرف الإعراب والغريب، فذلك مما يسهل عليه معرفة ما يقرأ، ويزيل عنه الشك فيما يتلو. وقد قال أبو جعفر الطبري سمعت الجرهمي يقول: أنا منذ ثلاثين سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه. قال محمد بن يزيد: وذلك أن أبا عمر الجرهمي كان صاحب حديث، فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث، إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفسير. ثم ينظر في السنن الماثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ، فيها يصل الطالب إلى مراد الله عز وجل في كتابه وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً؛ وقد قال المصاحك في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: 79]، قال: حق على كل من تعلم القرآن أن يكون فقيهاً<sup>(٤)</sup>.

وذكر ابن أبي الحواري<sup>(٥)</sup> قال: أتينا فضيل بن عياض<sup>(٦)</sup> سنة خمس وثمانين ومائة ونحن جماعة، فوقفنا على الباب فلم يأذن لنا بالدخول؛ فقال بعض القوم: إن كان خروجه شيء فسيخرج

(١) يختالون : من الاختيال وهو الكبر . اللسان «خيل» .

(٢) منقطع : بين ابن مسعود والمسيب بن رافع . المصنف (٧ / ٢٣١) لابن أبي شيبة .

(٣) يشينه : الشين ضد الزين وهو القبح . اللسان «شين» .

(٤) كذا في سنن الدارمي (١ / ١٠٧ برقم ٣٢٨) وتفسير ابن كثير (١ / ٣٧٨)...

(٥) لا يمكن أن يكون أحمد بن أبي الحواري إذ توفي (٣٣٠هـ) .

(٦) هو الفضيل بن عياض التميمي أبو علي ، أحد رباني هذه الأمة ، صدوق صحيح الحديث بل ثقة ، وكان عبداً زاهداً ، جمع فنون الشريعة (ت ١٨٧هـ) .

لتلاوة القرآن؛ فأمرنا قارئاً فقرأ فاطلع علينا من كوة<sup>(١)</sup>؛ فقلنا: السلام عليك ورحمة الله؛ فقال: وعليكم السلام؛ فقلنا: كيف أنت يا أبا عني، وكيف حالك؟ فقال: أنا من الله في عافية ومنكم في أذى، وإن ما أتم فيه حدث في الإسلام، فإننا لله وإننا إليه راجعون ما هكذا كنا نطلب العلم، ولكننا كنا نأتي المشيخة فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم. فنجلس دونهم ونسترق السمع، فإذا مر الحديث سألناهم إهادته وقيدناه، وأنتم تطلبون العلم بجهد، وقد ضيعتم كتاب الله، ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون؛ قال: قلنا قد تعلمنا القرآن؛ قال: إن في تعلمكم القرآن شغلاً لأعماركم وأعمار أولادكم؛ قلنا: كيف يا أبا علي؟ قال: لن تعلموا القرآن حتى تعرفوا إعرابه، ومحكمه من مثابه، وناسخه من منسوخه؛ إذا عرفتم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينة. ثم قال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

قلت: فإذا حصلت هذه المراتب لقارئ القرآن كان ماهراً بالقرآن، وعالماً بالفُرقان؛ وهو قريب على من قرَّبه عليه، ولا يتنفع بشيء مما ذكرنا حتى يُخلص النية فيه لله جل ذكره عند طلبه أو بعد طلبه كما تقدم. فقد يتدنى الطالب للعلم يريد به المباهاة والشرف في الدنيا، فلا يزال به فهم العلم حتى يتبين أنه على خطأ في اعتقاده فيتوب من ذلك ويخلص النية لله تعالى فينتفع بذلك ويحسن حاله. قال الحسن: كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة. وقاله سفيان الثوري. وقال حبيب بن أبي ثابت: طلبنا هذا الأمر وليس لنا فيه نية ثم جاءت النية بعد<sup>(٢)</sup>.

### باب ما جاء في إعراب القرآن وتعليمه

#### والحث عليه، وثواب من قرأ القرآن معرباً

قال أبو بكر بن الأنباري: جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وتابعيه رضوان الله عليهم من تفضيل إعراب القرآن، والحض على تعليمه، وذم اللحن<sup>(٣)</sup> وكراهيته ما وجب به على قراء القرآن أن يأخذوا أنفسهم بالاجتهاد في تعلمه.

من ذلك: ما حدثنا يحيى بن سليمان الضبي قال: حدثنا محمد يعني ابن سعيد قال: حدثنا أبو معاوية عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن جده عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه»<sup>(٤)</sup>. حدثني أبي قال: حدثنا إبراهيم بن الهيثم قال: حدثنا آدم يعني ابن أبي

(١) كوة: فتحة أو خرق في الجدار. اللسان «كوى».

(٢) رواه ابن الجعد (١/ ٩٦) في مستنده، ورواه الخطيب البغدادي (٢/ ٢٦٧) في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.

(٣) اللحن: الميل عن جهة الاستقامة، يقال: لحن فلان في كلامه: إذا مال عن صحيح المنطق. النهاية (٤/ ٢٤١) لابن الأثير.

(٤) ضعيف جداً: قال الهيثمي (٧/ ١٦٣) في المجمع: «رواه أبو يعلى، وفيه عبد الله بن سعيد المقبري وهو =

إياس قال : حدثنا أبو الطيب المُرَوَّزِيّ قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي رَوَادٍ عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ القرآن فلم يُعْرَبه ، وكُلَّ به مَلَكٌ يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حسنات ؛ فإن أعرب بعضه ؛ وكُلَّ به مَلَكٌ يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة ، فإن أعربه وكُلَّ به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة»<sup>(١)</sup> . وروى جُوَيْبِرٌ عن الضحَّاك قال : قال عبد الله بن مسعود : جَوَدُوا القرآنَ وزَيَّنُوهُ بأحسن الأصوات ، وأعربوه فإنه عربيّ ، والله يحب أن يُعْرَبَ به<sup>(٢)</sup> . وعن مجاهد عن ابن عمر قال : أعربوا القرآن . وعن محمد بن عبد الرحمن بن زيد قال : قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : لَبِغْضُ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ حروفه<sup>(٣)</sup> . وعن الشعبي قال : قال عمر رحمه الله : من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد<sup>(٤)</sup> . وقال مكحول : بلغني أن من قرأ بإعرابٍ كان له من الأجر ضعفان ممن قرأ بغير إعراب . وروى ابن جُرَيْجٍ عن عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أحبوا العرب ثلاث : لاني عربيّ ، والقرآن عربيّ ، وكلام أهل الجنة عربيّ»<sup>(٥)</sup> . وروى سفيان عن أبي حمزة قال : قيل للحسن في قوم يتعلمون العربية قال : أحسنوا ، يتعلمون لغة نبيهم ﷺ . وقيل للحسن : إن لنا إماماً يلحن ، قال : أخروه .

وعن ابن أبي مليكة<sup>(٦)</sup> قال : قدم أعرابي في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : مَنْ يُقْرئني مما أنزل على محمد ﷺ ؟ قال : فأقرأه رجل «براءة» ؛ فقال : «أن الله برئ من المشركين ورسوله» ، بالجر ، فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟ فإن يكن الله برئ من رسوله فانا أبرأ منه ؛ فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال : يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يُقْرئني ، فأقرأني هذا سورة «براءة» ، فقال : أن الله برئ من المشركين ورسوله ؛ فقلت : أو قد برئ الله من رسوله ، إن يكن الله برئ من رسوله فانا أبرأ منه ؛ فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي ؛ قال : فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : «أن الله برئ من المشركين ورسوله» [التوبة : ٣] فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه ؛ فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ألا يُقْرئ الناس إلا عالم باللغة ، وأمر أبا الأسود فوضع النحو<sup>(٧)</sup> .

= متروك « ورواه الحاكم (٤٧٧ / ٢) في المستدرک وصححه وقال الذهبي : «مجمع على ضعفه» . ورواه البيهقي (٤٢٧ / ٢) في الشعب .

قلت : وضعفه الألباني (٩٣٦) في ضعيف الجامع ، و(١٣٤٥) في الضعيفة .

(١) موضوع : فيه ابن أبي رواد وهو ضعيف ، وفيه أبو الطيب الحزمي ، وهو كذاب خبيث كما في الميزان (٧/ ٣٨٦) للذهبي - رحمه الله .

(٢) موضوع : فيه جويبر وهو متروك ، والضحَّاك لم يلق ابن مسعود رضي الله عنه .

(٣) موضوع : محمد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هالك هو وأبوه ، ثم بينه وبين الشيخين زمان طويل .

(٤) منقطع : فالشعبي لم يلق عمر رضي الله عنه .

(٥) موضوع : الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه العلاء بن عمرو الحنفي وهو مجمع على ضعفه كما في المجمع (١٠ / ٥٢) ، وكذا قال الألباني (١٧٣) في ضعيف الجامع .

(٦) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة ، مدني أدرك ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كما في التريب (١/ ٤٣١) .

(٧) هذا مناف لما عليه الإجماع بأن النحو وضع في عهد علي رضي الله عنه ، كما أتى بالأسود الدثلي ، وفي البداية والنهاية (٨/ ٦٨٣) قال ابن خلكان - كما نقل عنه ابن كثير - رحمه الله : «كان أول من ألقى إليه علم النحو =

وعن علي بن الجعد قال : سمعت شعبة يقول: مثلُ صاحب الحديث الذي لا يعرف العربية مثلُ الحمار عليه مُخلاة لا علفَ فيها. وقال حماد بن سلمة: من طلب الحديث ولم يتعلم النحو أو قال العربية فهو كمثل الحمار تُعلَّق عليه مخلاة ليس فيها شعير<sup>(١)</sup>. قال ابن عطية: إعراب القرآن أصل في الشريعة؛ لأن بذلك تقوم معانيه التي هي الشرع.

قال ابن الأنباري: وجاء عن أصحاب النبي ﷺ وتابعيهم رضوان الله عليهم، من الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله باللغة والشعر ما بين صحة مذهب النحوين في ذلك، وأوضح فساد مذهب من أنكر ذلك عليهم.

من ذلك: ما حدثنا عبيد بن عبد الواحد بن شريك البزاز قال حدثنا ابن أبي مريم قال: أنبأنا ابن فروخ قال أخبرني أسامة قال: أخبرني عكرمة أن ابن عباس قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب<sup>(٢)</sup>. وحدثنا إدريس بن عبد الكريم قال: حدثنا خلف قال: حدثنا حماد بن زيد عن علي بن زيد بن جدعان قال: سمعت سعيد بن جبير ويوسف بن مهران يقولان: سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء بالقرآن؛ فيقول فيه هكذا وهكذا، أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا. وعن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] قال: لا تلبس ثيابك على غدْر؛ وتمثل بقول غيلان الثقفي:

فإني بحمد الله لا توبَّ غادرٍ لبيست ولا من سوءٍ أتقنع

وسأل رجل عكرمة عن الزنيم قال: هو ولد الزنا؛ وتمثل بيت شعر:

زنيم ليس يعرف من أبوه بغي<sup>(٣)</sup> الأم ذو حسبٍ لثيم

وعنه أيضاً: الزنيم: الدعوى الفاحش اللثيم، ثم قال:

زنيم تداعاه الرجال زيادةً كما زيد في عرض الأديم الأكارع<sup>(٤)</sup>

وعنه في قوله تعالى: ﴿ذَوَاتَا أَفْئَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٨] قال: ذواتا ظلِّ وأغصان؛ ألم تسمع إلى قول الشاعر:

ما هاج شوقك من هديل حمامة تدعو على قنن الغصون حماما<sup>(٥)</sup>

تدعو أبا فرخين صادف طائراً ذا مخليين من الضقور قطاما<sup>(٦)</sup>

= علي بن أبي طالب، وذكره أن الكلام: اسم، وفعل، وحرف، ثم إن أبا الأسود نحا نحوه وفرع على قوله، وسلك طريقه، فسمى هذا العلم النحو لذلك، وكان الباعث لأبي الأسود على ذلك تغير لغة الناس، ودخول اللحن في كلام بعضهم أيام ولاية زياد على العراق انتهى.

(١) كذا في شعب الإيمان (٢/ ٢٦٠) لليهقي برقم (١٦٨٩).

(٢) صحيح موقوف: كذا قال البيهقي (١٠/ ٢٤١) في السنن الكبرى.

(٣) البغي: المرأة حرة أو أمة تفجر: اللسان «بغي».

(٤) البيت في اللسان (١٢/ ٢٧٧) ونسبه فيه ابن بري إلى الخطيم التميمي، ونسبه من ناحية أبي عميد إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه.

(٥) البيت في اللسان (١١/ ٦٩١) ونسبه لابن بري وقال: وقد جاء الهذيل في صوت الهدهد.

(٦) صقر قطام: صقر لحم وهو المشتبه باللحم وغيره. اللسان «قطم».

وعن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٤] قال: الأرض؛ قاله ابن عباس. وقال أمية بن أبي الصلت (١):

عندهم لحم بحر ولحم ساهرة

قال ابن الأنباري: والرواة يروون هذا البيت:

وفيهما لحم ساهرة وبَحْرٍ وما فاهوا به لهم مُقيم (٢)

وقال نافع بن الأزرق لابن عباس: أخبرني عن قول الله جلَّ وعزَّ: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

[البقرة: ٢٥٥] ما السنَّة؟ قال: النَّعَاسُ؛ قال زهير بن أبي سلمى (٣):

لَا سِنَّةٌ فِي طَوَالِ اللَّيْلِ تَأْخُذُهُ وَلَا يَنَامُ وَلَا فِي أَمْرِهِ قَنْدٌ (٤)

### باب ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله

قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وأما ما جاء في فضل التفسير عن الصحابة والتابعين، فمن ذلك: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم؛ فقال له رجل: جُعِلت فداءك تصف جابراً بالعلم وأنت أنت فقال: إنه كان يعرف تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]. وقال مجاهد: أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَعْلَمُهُمْ بِمَا أَنْزَلَ. وقال الحسن: والله ما أنزل الله آية إلا أحب أن يعلم فيما أنزلت وما يعني بها. وقال الشعبي: رَحَلَ مَسْرُوقٌ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي تَفْسِيرِ آيَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ الَّذِي يَفْسِّرُهَا رَحَلَ إِلَى الشَّامِ؛ فَتَجَهَّزَ وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى عَلِمَ تَفْسِيرَهَا. وقال عكرمة في قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [النساء: ١٠٠]: طَلَبْتُ اسْمَ هَذَا الرَّجُلِ [الذي خرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله] أربع عشرة سنة حتى وجدته (٥). وقال ابن عبد البر: هو ضمرة بن حبيب، وسيأتي. وقال ابن عباس: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ما يمنعني إلا

(١) هو أمية بن أبي الصلت: عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة بن غرة بن عوف بن ثقيف بن منه بن بكر بن هوازن أبو عثمان، ويقال: أبو الحكم الثقفي، شاعر جاهلي قدم دمشق قبل الإسلام، قيل: إنه كان مستقيماً، وإنه كان في أول أمره على الإيمان ثم زاغ وإنه هو الذي أراد الله تعالى بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخْنَا مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] وفي حديث البخاري (٦١٤٧) في الأدب، ومسلم (٢٥٥/٣) في الطهارة من رواية أبي هريرة أنه ﷺ قال: «... وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم» وقد هلك سنة (٩هـ) بالطائف: البداية والنهاية (٦١٤/٢) ..

(٢) البيت في اللسان (٣٨٣/٤).

(٣) هو زهير بن أبي سلمى بن رباح، وكان صاحب مدائح عدة، وسمي بصاحب الحوليات وقد هلك قبل البعثة بستين.

(٤) قند: ضعف وخرف وإنكار عقل من الهرم، وقيل: خطأ في الرأي والقول. اللسان «قند».

قلت: وفي البيت ثناء على الله تعالى بأنه لا ينام سبحانه ولا يغفل قط، وليس فيما قضاؤه وقدره خطأ على الإطلاق.

(٥) انظر: الاستيعاب (٧٥٠/٢)، و(١٦٩٤/٤) وقال فيه أيضاً: «ضمرة بن حبيب، وضميرته بن جندب، وضميرته بن أنس، وضمرة بن العيص»، وفي الاستيعاب (١٥/٢) أيضاً هو: «خالد بن حزام».

مهابة. فسألته فقال: هي حفصة وعائشة<sup>(١)</sup>. وقال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره، كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح، فتدخلتهم روعة ولا يدرون ما في الكتاب؛ ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب.

## باب ما جاء

### في حامل القرآن ومن هو، وفيمن عاداه

قال أبو عمر: روي من وجوه فيها لين عن النبي ﷺ أنه قال: «من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة: الإمام المقتسط، وذو الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه<sup>(٢)</sup>». وقال أبو عمر: وحملة القرآن هم العالمون بأحكامه، وحلاله وحرامه، والعاملون بما فيه. وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «القرآن أفضل من كل شيء، فمن قرأ القرآن فقد قرأ الله، ومن استخف بالقرآن استخف بحق الله تعالى حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله المعظمون كلام الله، الملبسون نور الله، فمن والآهم فقد وآلى الله، ومن عاداهم فقد استخف بحق الله تعالى<sup>(٣)</sup>».

## باب ما يلزم قارئ القرآن

### وحامله من تعظيم القرآن وحرمة

قال الترمذي الحكيم أبو عبد الله في «نوادير الأصول»: فمن حرمة القرآن: ألا يمسه إلا طاهراً. ومن حرمة أن يقرأه وهو على طهارة. ومن حرمة أن يستاك ويتخلل فيطيب فاه، إذ هو طريقه. قال يزيد بن أبي مالك: إن أفواهكم طرقت من طرق القرآن، فطهروها ونظفوها ما استطعتم<sup>(٤)</sup>. ومن حرمة أن يتلبس<sup>(٥)</sup> كما يتلبس للدخول على الأمير لأنه مناج. ومن حرمة: أن يستقبل القبلة لقراءته. وكان أبو العالية إذا قرأ اعتم ولبس وارتدى واستقبل القبلة. ومن حرمة: أن يتمضمض كلما تنخع. روى شعبة عن أبي حمزة عن ابن عباس: أنه كان يكون بين يديه تور<sup>(٦)</sup> إذا تنخع مضمض، ثم أخذ في الذكر، وكان كلما تنخع مضمض. ومن حرمة: إذا تشاءب أن يمسك عن القراءة لأنه إذا قرأ فهو مخاطب ربه ومناج، والتشاؤب من الشيطان<sup>(٧)</sup>. قال مجاهد: إذا تشاءبت وأنت تقرأ القرآن فأمسك عن القرآن تعظيماً حتى يذهب تشاؤبك. وقاله عكرمة - يريد أن في ذلك الفعل إجلالاً

(١) متفق عليه: البخاري (٤٩١٣) في التفسير، ومسلم (١٧٩/ ٣١ - ٣٣) في الطلاق.

(٢) حسن بنحوه: أبو داود (٤٨٤٣) في الأدب، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١٩٥) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) ضعيف: نوادر الأصول (٣/ ٢٦٠) مرسلأ، وحسنه السيوطي (٢٦٠/ ١١٤٦٢) في الجامع الكبير، عن عائشة رضي الله عنها.

(٤) صحيح مرفوع: الألباني (٣٩٣٩) في صحيح الجامع عن سمرة رضي الله عنه.

(٥) يتلبس: يلبس. اللسان «لبس».

(٦) تور: إناء يشرب فيه. مختار الصحاح (ص ٨٠).

(٧) وفيه حديث «العطاس من الله، والتشاؤب من الشيطان» كما في صحيح الجامع (٤١٣٠) بسند حسن.

للقرآن. ومن حرّمته أن يستعيذ بالله عند ابتدائه للقراءة من الشيطان الرجيم، ويقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إن كان ابتداء قراءته من أوّل السورة أو من حيث بلغ. ومن حرّمته: إذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة فساعة بكلام الأدميين من غير ضرورة. ومن حرّمته: أن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلام فيخلطه بجوابه؛ لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة الذي استعاذ في البدء. ومن حرّمته أن يقرأه على تُوْدَة وترسيل وترتيل. ومن حرّمته: أن يستعمل فيه ذهنه وفهمه حتى يعقل ما يخاطب به. ومن حرّمته: أن يقف على آية الوعد فيرغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله، وأن يقف على آية الوعيد فيستجير بالله منه. ومن حرّمته: أن يقف على أمثاله فيمثلها. ومن حرّمته: أن يلتبس غرائب. ومن حرّمته: أن يؤدّي لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً، فإن له بكل حرف عشر حسنات<sup>(١)</sup>. ومن حرّمته: إذا انتهت قراءته أن يصدّق ربه، ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ، ويشهد على ذلك أنه حق، فيقول: صدقت ربنا وبلغت رسلك، ونحن على ذلك من الشاهدين؛ اللهم اجعلنا من شهداء الحق، القائمين بالقسط؛ ثم يدعو بدعوات<sup>(٢)</sup>. ومن حرّمته: إذا قرأه ألا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأها؛ فإنه روي لنا عن رسول الله ﷺ: أنه مر ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئاً؛ فأمره أن يقرأ السورة كلها أو كما قال عليه السلام. ومن حرّمته: إذا وضع المصحف ألا يتركه منشوراً، وألا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً لسائر الكتب، علماً كان أو غيره. ومن حرّمته: أن يضعه في حجره إذا قرأه أو على شيء بين يديه ولا يضعه بالأرض. ومن حرّمته: ألا يمحوه من اللوح بالبصاق ولكن يغسله بالماء. ومن حرّمته: إذا غسله بالماء أن يتوقّى النجاسات من المواضع، والمواقع التي تُوطأ، فإن لتلك الغسالة حرمة، وكان من قبلنا من السلف منهم من يستشفى بغسالته. ومن حرّمته: ألا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست<sup>(٣)</sup> وقاية للكتب؛ فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء. ومن حرّمته: ألا يخلي يوماً من أيامه من النظر في المصحف مرة؛ وكان أبو موسى يقول: إني لاستحيي ألا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة. ومن حرّمته: أن يعطي عينيه حظهما منه، فإن العين تؤدّي إلى النفس، وبين النفس والصدر حجاب، والقرآن في الصدر؛ فإذا قرأه عن ظهر قلب فإنما يسمع أذنه فتؤدّي إلى النفس، فإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركتا في الأداء وذلك أوفر للأداء؛ وكان قد أخذت العين حظها كالأذن. روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أعطوا أعينكم حظها من العبادة» قالوا: يا رسول الله وما حظها من العبادة؟ قال: «النظر في المصحف والتفكير فيه والاعتبار عند عجائبه»<sup>(٤)</sup>. وروى مكحول عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن نظراً»<sup>(٥)</sup>. ومن حرّمته: ألا يتأوله عندما يعرض له

(١) في هذا حديث صحيح وقد سبق .

(٢) أما الدعاء فهو عن أنس رضي الله عنه وعن قتادة كما في التبيان (ص ٦٩) للنووي - بتحقيقي .

(٣) درست: أفهمت. اللسان «درس» .

(٤) موضوع: انظر: ضعيف الجامع (٩٤٢) للألباني - رحمه الله .

(٥) ضعيف: انظر: ضعيف الجامع (١٠٤٧، ١٠٤٨) للألباني - رحمه الله .

شيء من أمر الدنيا: حدثنا عمرو بن زياد الحنظلي قال: حدثنا هشيم بن بشير عن المغيرة عن إبراهيم قال: كان يكره أن يتأول شيء من القرآن عند ما يعرض له شيء من أمر الدنيا، والتأويل مثل قولك للرجل إذا جاءك: ﴿جِبْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه: ٤٠] ومثل قوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤] هذا عند حضور الطعام وأشباه هذا. ومن حرمة؟ ألا يقل: سورة كذا؛ كقولك: سورة النحل وسورة البقرة وسورة النساء، ولكن يقال: السورة التي يُذكر فيها كذا.

قلت: هذا يعارضه قوله ﷺ: «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كَفَتَاهُ» خرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود<sup>(١)</sup> ومن حرمة: ألا يُتلى منكوساً كفعل معلبي الصبيان، يلتمس أحدهم بذلك أن يُري الحذق من نفسه والمهارة، فإن تلك مخالفة، ومن حرمة: ألا يُقَرَّ في قراءته كفعل هؤلاء الهمزين المتبذعين المتنطعين في إبراز الكلام من تلك الأفواه المنتنة تكلفاً، فإن ذلك محدث ألقاه إليهم الشيطان فقبلوه عنه. ومن حرمة: ألا يقرأه بألحان الغناء كلحون أهل الفسق، ولا بترجيع التصاري ولا نوح الرهبانية، فإن ذلك كله زيف وقد تقدم. ومن حرمة: أن يُجَلَّلَ تخطيطة إذا خطه. وعن أبي حكيمة أنه كان يكتب المصاحف بالكوفة، فمر علي رضي الله عنه فنظر إلى كتابته فقال له: أجَلَّ قلمك؛ فأخذت القلم فقططته<sup>(٢)</sup> من طرفه قطاً، ثم كتبت وعلي رضي الله عنه قائم ينظر إلى كتابتي؛ فقال: هكذا، نوره كما نوره الله عز وجل. ومن حرمة: ألا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه حتى يبغض إليه ما يسمع ويكون كهيئة المغالبة. ومن حرمة: الأيماى ولا يجادل في القراءات، ولا يقول لصاحبه: ليس هكذا هو، ولعله أن تكون تلك القراءة صحيحة جائزة من القرآن؛ فيكون قد جحد كتاب الله. ومن حرمة: ألا يقرأ في الأسواق ولا في مواطن اللغو واللغو ومجمع السفهاء؛ ألا ترى أن الله تعالى ذكر عباد الرحمن وأثنى عليهم بأنهم إذا مروا باللغو مروا كراماً، هذا مروره بنفسه، فكيف إذا مر بالقرآن الكريم تلاوة بين ظهرائي أهل اللغو وجمع السفهاء. ومن حرمة: ألا يتوسد المصحف ولا يعتمد عليه، ولا يرمي به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله. ومن حرمة: ألا يصغر المصحف؛ روى الأعمش عن إبراهيم عن علي رضي الله عنه قال: لا يصغر المصحف.

قلت: وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه رأى مصحفاً صغيراً في يد رجل فقال: من كتبه؟ قال: أنا؛ فضربه بالدرة، وقال: عظّموا القرآن. وروى عن رسول الله ﷺ: أنه نهى أن يقال: مُسَيِّجٌ أو مُصَيِّحٌ. ومن حرمة ألا يخلط فيه ما ليس منه. ومن حرمة: ألا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب فتخلط به زينة الدنيا؛ وروى مغيرة عن إبراهيم: أنه كان يكره أن يحلى المصحف أو يكتب بالذهب أو يعلم عند رؤوس الآي أو يصغر. وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا زخرقتُم مساجدكم وحليتُم مصاحفكم فالدبار<sup>(٣)</sup> عليكم»<sup>(٤)</sup>. وقال ابن عباس وقد رأى مصحفاً

(١) متفق عليه: البخاري (٥٠٠٨، ٥٠٠٩) في فضائل القرآن، ومسلم (٨٠٧) في صلاة المسافرين وقصرها، عن

أبي مسعود رضي الله عنه لا عن عبد الله بن مسعود.

(٢) قططته: قط الشيء، أى: قطعه عرضاً وبابه (رد) على وزن (فعل) ومنه قط القلم. مختار الصحاح (ص ٥٤٢).

(٣) حسن: حسنة الألباني (٥٨٥) في صحيح الجامع وفيه (الدمار) بدلاً من (الدبار). والدبار: الهلاك.

(٤) ذكره المتقي الهندي (٢٨٧٥) في الكتبخانة، وعزاه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول.

زَيْنُ بَفْضَةٍ: تُغْرُونَ بِهِ السَّارِقَ وَزَيْتَهُ فِي جَوْفِهِ. وَمَنْ حَرَمْتَهُ: أَلَا يَكْتُبُ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا عَلَى حَائِطٍ كَمَا يَفْعَلُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ الْمَحْدُثَةِ. حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ الشَّقِيقِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ عَنْ سَفِيَانَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الزَّيْبِرِ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَحْدُثُ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكِتَابٍ فِي أَرْضٍ، فَقَالَ لِشَابٍّ مِنْ هُدَيْلٍ: «مَا هَذَا؟» قَالَ: مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَتَبَهُ يَهُودِيٌّ؛ فَقَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، لَا تَضَعُوا كِتَابَ اللَّهِ إِلَّا مَوْضِعَهُ». قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الزَّيْبِرِ: رَأَى عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنًا لَهُ يَكْتُبُ الْقُرْآنَ عَلَى حَائِطٍ فَضَرَبَهُ. وَمَنْ حَرَمْتَهُ: أَنَّهُ إِذَا اغْتَسَلَ بِكِتَابَتِهِ مَسْتَشْفِيًّا مِنْ سَقَمٍ أَلَا يَصْبَهُ عَلَى كُنَاسَةٍ، وَلَا فِي مَوْضِعٍ نَجَّاسَةٍ، وَلَا عَلَى مَوْضِعٍ يُوطَأُ، وَلَكِنْ نَاحِيَةً مِنَ الْأَرْضِ فِي بُقْعَةٍ لَا يَطْوُهُ النَّاسُ، أَوْ يَحْفَرُ حَفِيرَةً فِي مَوْضِعٍ طَاهِرٍ حَتَّى يَنْصَبَ مِنْ جَسَدِهِ فِي تِلْكَ الْحَفِيرَةِ ثُمَّ يَكْبَسُهَا، أَوْ فِي نَهْرٍ كَبِيرٍ يَخْتَلِطُ بِمَائِهِ فَيَجْرِي. وَمَنْ حَرَمْتَهُ أَنْ يَفْتَحَهُ كَلِمَا خَتَمَهُ حَتَّى لَا يَكُونَ كَهَيْئَةِ الْمَهْجُورِ. كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَتَمَ يَقْرَأُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ قَدْرَ خَمْسِ آيَاتٍ؛ لِثَلَاثِ يَكُونَ فِي هَيْئَةِ الْمَهْجُورِ. وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْحَالِ الْمُرْتَحِلِ» قَالَ: وَمَا الْحَالُ الْمُرْتَحِلُ؟ قَالَ: «صَاحِبُ الْقُرْآنِ يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِهِ حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَهُ، ثُمَّ يَضْرِبُ فِي أَوَّلِهِ كَلِمًا حَلَّ ارْتِحَالِ» (١).

قلت: ويستحب له إذا ختم القرآن أن يجمع أهله. ذكر أبو بكر الأنباري: أنبأنا إدریس، حدثنا خلف، حدثنا وكيع عن مسعر عن قتادة: أن أنس بن مالك كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا (٢). وأخبرنا إدریس: حدثنا خلف، حدثنا جرير عن منصور عن الحكم قال: كان مجاهد وعبد بن أبي لُبَّابة وقوم يعرضون المصاحف، فإذا أرادوا أن يختموا وجهوا إلينا: أحضرونا، فإن الرحمة تنزل عند ختم القرآن (٣). وأخبرنا إدریس حدثنا خلف حدثنا هشيم عن العوام عن إبراهيم التيمي قال: من ختم القرآن أول النهار؛ صلَّت عليه الملائكة حتى يمسي، ومن ختم أول الليل صلَّت عليه الملائكة حتى يصبح؛ قال: فكانوا يستحبون أن يختموا أول الليل وأول النهار (٤). ومن حرَّمته ألا يكتب التعاويذ منه ثم يدخل به في الخلاء، إلا أن يكون في غلاف من آدم أو فضة أو غيره؛ فيكون كأنه في صدرك. ومن حرَّمته: إذا كتبه وشربه سمَّى الله على كل نفس، وعظَّم النية فيه، فإن الله يؤتيه على قدر نيته. روى ليث عن مجاهد قال: لا بأس أن تكتب القرآن ثم تسقيه المريض (٥). وعن أبي جعفر قال: من وجد في قلبه قساوة فليكتب «يس» في جام بزعفران ثم يشربه (٦).

قلت: ومن حرَّمته: ألا يقال: سورة صغيرة. وكره أبو العالية أن يقال: سورة صغيرة أو كبيرة؛ وقال لمن سمعه قالها: أنت أصغر منها؛ وأما القرآن فكله عظيم؛ ذكره مكي (٧) رحمه الله.

(١) ضعيف: الترمذي (٢٩٤٨) في القراءات، وضعفه الألباني هناك.

(٢) (٣) صححه النووي في التبيان في آداب حملة القرآن (ص ٦٩) بتحقيقي.

(٤) هذا ما لا سند له، ثم فيه العوام وهو مختلف في توثيقه.

(٥) ضعيف: فيه ليث بن أبي سليم وهو مختلط جداً.

(٦) ولا سند لهذا.

(٧) هو مكي بن أبي طالب بن محمد القيسي، كان فقهياً من القراء وكان من الراسخين في علوم القرآن، وصنف

تصانيف كثيرة في ذلك منها: التبصرة والهداية في التفسير (ت ٤٠٧هـ).

قلت: وقد روى أبو داود ما يعارض هذا من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه أنه قال: ما من الفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا قد سمعت رسول الله ﷺ يؤمّ بها الناس في الصلاة (١).

### باب ما جاء من الوعيد في تفسير القرآن بالرأي.

#### والجراحة على ذلك، ومراقب المفسرين

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ يفسّر من كتاب الله إلا آياً بعدد، علمه إياهنّ جبريل. قال ابن عطية: ومعنى هذا الحديث في مُغَيِّبات القرآن، وتفسير مجمله ونحو هذا، مما لا سبيل إليه إلا بتوفيق من الله تعالى؛ ومن حملة مغيباته ما لم يُعلم الله به، كوقت قيام الساعة ونحوها مما يستقري من الفأظه، كعدد النَّفَخَات في الصُّور، وكرتبه خلق السموات والأرض. روى الترمذي عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «اتقوا الحديث عليّ إلا ما علمتم؛ فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، ومن قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار» (٢). وروي أيضاً عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (٣). قال: هذا حديث غريب. وأخرجه أبو داود، وتكلّم في أحد رواه. زاد رزين: ومن قال برأيه فأخطأ فقد كفر. قال أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنباري السحوي اللغوي في كتاب «الرد»: فسّر حديث ابن عباس تفسيرين: أحدهما: قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرّض لسخط الله. والجواب الآخر وهو أثبت القولين وأصحهما معنًى: من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار. ومعنى يتبوأ: ينزل ويحل؛ قال الشاعر:

وَبُوَّتَتْ فِي صَمِيمٍ مَعْسِرِهَا      فَتَمَّ فِي قَوْمِهَا مَبُوءُهَا (٤)

وقال في حديث جندب (٥): فحمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أن الرأي معني به الهوى؛ من قال في القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السلف فأصاب فقد أخطأ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه. وقال ابن عطية (٦): ومعنى هذا: أن يسأل الرجل عن معنًى في كتاب الله عز وجل فيتسور (٧) عليه برأيه دون نظر فيما

(١) ضعيف: أبو داود (٨١٤) في الصلاة، وضعفه الألباني هناك.

(٢) ضعيف: الترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١) في التفسير، وضعفه الألباني هناك.

(٣) (٥، ٥) ضعيف: الترمذي (٢٩٥٢) في التفسير، وضعفه الألباني هناك.

(٤) قال صاحب اللسان (٣٩ / ١): أي نزلت من الكرم في صميم النسب.

(٦) هو الإمام القاضي عبد الحق بن غالب بن عبد الملك بن تمام بن عطية الغرناطي: مفسر، محدث، فقيه، أديب،

وله التفسير الشهير المعروف بـ (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وقد أثنى عليه أبو حيان فقال: (هو

أجل من صنّف في علم التفسير، وأفضل من تعرّض للتقيح فيه والتحرير)، وقد توفي (٥٤٦هـ). كشف

الظنون (١٦١٣ / ٢) لحاجي خليفة.

(٧) يتسور: القصد هنا السطو على المعنى والتهجم بغير حق. اللسان «سور».

قال العلماء، واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول؛ وليس يدخل في هذا الحديث: أن يفسر اللغويون لغته، والنحويون نحوه، والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم ونظر؛ فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه.

قلت: هذا صحيح وهو الذي اختاره غير واحد من العلماء، فإن من قال فيه بما سنح في وهمه، وخطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، وإن من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناه فهو ممدوح.

وقال بعض العلماء: إن التفسير موقوف على السماع؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]. وهذا فاسد؛ لأن النهي عن تفسير القرآن لا يخلو: إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط، أو المراد به أمراً آخر. وباطل أن يكون المراد به ألا يتكلم أحد في القرآن إلا بما سمعه؛ فإن الصحابة رضي الله عنهم قد قرؤوا القرآن واختلفوا في تفسيره على وجوه، وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي ﷺ؛ فإن النبي ﷺ دعا لابن عباس وقال: «اللَّهُمَّ فَهِّمْنَا فِي الدِّينِ وَعَلِّمْنَا التَّوِيلَ»<sup>(١)</sup>. فإن كان التأويل مسموعاً كالتزويل فما فائدة تخصيصه بذلك وهذا بين لا إشكال فيه؛ وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة «النساء» إن شاء الله تعالى. وإنما النهي يحمل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأي، وإليه ميل من طبعه وهواه؛ فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج على تصحيح غرضه، ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى. وهذا النوع يكون تارة مع العلم كالذي يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، ولكن مقصوده أن يُلبس<sup>(٢)</sup> على خصمه؛ وتارة يكون مع الجهل، وذلك إذا كانت الآية محتملة؛ فيميل فهمه إلى الوجه الذي يوافق غرضه، ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه، فيكون قد فسّر برأيه، أي: رأيه حملَه على ذلك التفسير، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه. وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن، ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسي فيقول: قال الله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤] ويشير إلى قلبه، ويومئ إلى أنه المراد بفرعون؛ وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسباً للكلام وترغيباً للمستمع، وهو ممنوع؛ لأنه قياس في اللغة، وذلك غير جائز. وقد تستعمله الباطنية<sup>(٣)</sup> في المقاصد الفاسدة لتغريب الناس ودعوتهم إلى مذاهبهم

(١) متفق عليه: الشطر الأول منه دون الدعاء بالتأويل في صحيح البخاري (١٤٣) في الوضوء، ومسلم (٢٤٧٧/١٣٨) في فضائل الصحابة.

وهو كله عند أحمد (١/ ٢٦٦، ٣١٤)، وابن ماجه (١٦٦) في المقدمة، والحاكم (٣/ ٦١٥) في المستدرک، وصححه الألباني (٣٩٥) في الروض النضير.

(٢) يلبس: أي: يدلس ويخلط. مختار الصحاح (ص ٥٩٠).

(٣) الباطنية: هم فريق من غلاة الشيعة، نشأ مذهبهم في القرن الثالث الهجري، وضعه قوم أشربوا في قلوبهم بغض الدين، وكرهية النبي ﷺ من الفلاسفة والملاحدة، والمجوس واليهود، ليصرفوا الناس عن دين الله، ومن دعواتهم ميمون بن ديصان القداح، وظاهر مذهبهم فروع الشريعة، ولكن عقيدتهم عقيدة الفلاسفة =

الباطلة، فينزكون القرآن - على وفق رأيهم ومذهبهم - على أمورٍ يعلمون قطعاً أنها غير مرادة. فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي.

الوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسمع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير؛ فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلظه، ودخل في زمرة من فسر القرآن بالرأي؛ والنقل والسمع لا بد له منه في ظاهر التفسير أولاً ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط. والغرائب التي لا تفهم إلا بالسمع كثيرة، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر؛ ألا ترى أن قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا نُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء: ٥٩] معناه: آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها؛ فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار؛ وأمثال هذا في القرآن كثير، وما عدا هذين الوجهين فلا يتطرق النهي إليه. والله أعلم.

قال ابن عطية: وكان جلة من السلف الصالح كسعيد بن المسيب وعامر الشعبي وغيرهما يعظمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورعاً واحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتقدمهم. قال أبو بكر الأنباري: وقد كان الأئمة من السلف الماضي يتورعون عن تفسير المشكل من القرآن؛ فبعض يقدر أن الذي يفسه لا يوافق مراد الله عز وجل فيحجم عن القول. وبعض يشفق من أن يجعل في التفسير إماماً يبني على مذهبه، ويقتفي طريقه. فلعل متأخراً أن يفسر حرفاً براهه ويخطئ فيه ويقول: إمامي في تفسير القرآن بالرأي فلان الإمام من السلف. وعن ابن أبي مليكة قال: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير حرف من القرآن فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى.

قال ابن عطية: وكان جلة من السلف كثير عددهم يفسرون القرآن، وهم أبقوا على المسلمين في ذلك رضي الله عنهم؛ فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويتلوه عبد الله بن عباس وهو تجرد للأمر وكملته، وتبعه العلماء عليه كمجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي. وقال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب. وكان علي رضي الله عنه يشي على تفسير ابن عباس ويحض على الأخذ عنه، وكان ابن عباس يقول: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس<sup>(١)</sup>. وقال عنه علي رضي الله عنه:

= والملاحدة، مظاهر المذهب تشيع، وباطنه كفر محض، جعل ميمون الكافر لكل آية تفسيراً، ولكن حديث تأويلاً، وجعل السنن إرشادات، وأطلق لسانه في الطعن على الصحابة الكرام، وكان يخدم إسماعيل بن جعفر، وظفر أيام قرمط فسموا (القرامطة المباركية السبعية التعليمية الإباحية والملاحدة والزنادقة المزدكية) ولهم حيل كثيرة، يزعمون أن القرآن كلام النبي ﷺ ويبيحون نكاح البنات والأخوات، ويسقطون العبادات، وكانوا شوكة في حلق المسلمين، وحين أذن الله بهلاكهم وبقي فكرهم يلتقطه كل أخرف مجذوب عاص لله ولرسوله ولدينه (عقائد آل حمد ص ٣ - ٨٢)، والتبصير (ص ٨٦).

(١) صحيح: الحاكس (٣/ ٦١٨) في المستدرک وصححه موقوفاً من كلام ابن مسعود رضي الله عنه وقد =

ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق<sup>(١)</sup>. ويتلوه عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص. وكل ما أخذ عن الصحابة فحسن مقدم لشهودهم التنزيل ونزوله بلغتهم. وعن عامر بن واثلة قال: شهدت علي بن أبي طالب رضي الله عنه يخطف فسمعتة يقول في خطبته: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلا حدثكم به، سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا أنا أعلم أبليلاً نزلت أم بنهار، أم في سهل نزلت أم في جبل؛ فقام إليه ابن الكواء فقال: يا أمير المؤمنين، ما الذاريات ذرواً؟ وذكر الحديث<sup>(٢)</sup>. وعن المنهال بن عمرو قال: قال عبد الله بن مسعود: لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبليغه المطي لأتيته؛ فقال له رجل: أما لقيت علي بن أبي طالب؟ فقال: بلى، قد لقيته. وعن مسروق قال: وجدت أصحاب محمد ﷺ مثل الإخاذ<sup>(٣)</sup> يُروى الواحد والإخاذ يُروى الاثنين، والإخاذ لو ورد عليه الناس أجمعون لأصدرهم، وإن عبد الله بن مسعود من تلك الإخاذ. ذكر هذه المناقب أبو بكر الأنباري في كتاب الرد، وقال: الإخاذ عند العرب: الموضع الذي يحبس الماء كالغدير. قال أبو بكر: حدثنا أحمد بن الهيثم بن خالد حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا سلام عن زيد العمى عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بها أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقضاهم علي، وأفرضهم زيد، وأقرؤهم لكتاب الله عز وجل أبي بن كعب وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وأبو هريرة وعاء من العلم، وسلمان بحر من علم لا يدرك، وما أظلت الخضر ولا أقلت الغبراء - أو قال: البطحاء - من ذي لهجة أصدق من أبي ذر»<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عطية: ومن المبرزين في التابعين: الحسن البصري، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعلقمة. قرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية؛ ويتلوهم عكرمة والضحاك<sup>(٥)</sup> وإن كان لم يلق ابن عباس، وإنما أخذ عن ابن جبير؛ وأما السدي<sup>(٦)</sup> فكان عامر الشعبي يطعن عليه وعلى أبي صالح<sup>(٧)</sup>؛ لأنه كان يراهما مقصرين في النظر.

- =وجدته في بعض المطبوعة من كلام ابن عباس وهو خطأ فاحش .
- (١) ذكره ابن حجر في الإصابة (٤ / ١٤٦) وعزاه لصاحب المجالسة من طريق المدائن .
- (٢) انظر: الطبقات الكبرى (٢ / ٣٣٨) لابن سعد ، والاستيعاب (٣ / ١٠٧) لابن عبد البر ، من طريق وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل .
- (٣) حسن : ابن سعد (٢ / ٣٤٢) في طبقاته ، وصفة الصفوة (١ / ٤٠٤) لابن الجوزي . والمعنى : أن فيهم الصغير والكبير والعالم والأعلم . مختار الصحاح (ص ٤) .
- (٤) ضعيف بهذا السياق ، وهو صحيح : الترمذي (٣٧٩٠) في المناقب ، وصححه الألباني هناك بدون وجود زيد العمي فيه ، وهو عند ابن ماجه (١٥٤) في المقدمة ، كلاهما عن أنس بنحوه وليس فيه « وما أظلت . . . » .
- (٥) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي: تابعي جليل لكنه كثير الإرسال (ت ١٠٢هـ)، ولم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما، وإنما أخذ عن سعيد بن جبير ، وثقه أحمد وابن معين ، وأبو زرعة ، وابن حبان .
- (٦) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي صدوق يهيم ، وهو شيعي (ت ٢٧هـ) كما في قول خليفة ، وما نقله القرطبي في سير أعلام النبلاء (ت ٢٦٥هـ) .
- (٧) هو أبو صالح بإذام مولى أم هانئ، وقد اختلف في توثيقه، فضعفه النسائي وغيره، والأولى تضعيف حديثه، وانظر كلام القرطبي عند ابن عدي في الكامل (٢ / ٧٠) .

قلت: وقال يحيى بن مَعِين: الكلبي<sup>(١)</sup> ليس بشيء. وعن يحيى بن سعيد القَطَّان<sup>(٢)</sup> عن سفيان قال: قال الكلبي قال أبو صالح: كل ما حدثك كذب. وقال حبيب بن أبي ثابت: كنا نسمة الدروغ زَنَ يعني أبا صالح مولى أم هانئ والدروغ زن: هو الكذاب بلغة الفُرس. ثم حمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف، كما قال ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؟». خرَّجه أبو عمر وغيره. قال الخطيب أبو بكر أحمد بن عليّ البغدادي: وهذه شهادة من رسول الله ﷺ بأنهم أعلام الدين وأئمة المسلمين لحفظهم الشريعة من التحريف، والانتحال للباطل، وردّ تأويل الأبله الجاهل؛ وأنه يجب الرجوع إليهم، والمعول في أمر الدين عليهم، رضي الله عنهم.

قال ابن عطية: وألف الناس فيه كعبد الرزاق والمفضل وعليّ بن أبي طلحة والبخاري وغيرهم. ثم إن محمد بن جرير رحمه الله جمع على الناس أشتات التفسير، وقرب البعيد منها وشفى في الإسناد. ومن المبرزين من المتأخرين: أبو إسحاق الزجاج وأبو عليّ الفارسي؛ وأما أبو بكر النقاش وأبو جعفر النحاس فكثيراً ما استدرك الناس عليهما. وعلى سننهما، ومكي بن أبي طالب رضي الله عنه. وأبو العباس المهدوي متقن التأليف، وكلهم مجتهد مأجور رحمهم الله، ونصّر وجوههم.

### باب تبيين الكتاب بالسنة، وما جاء في ذلك

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وفرض طاعته في غير آية من كتابه وقرنها بطاعته عز وجل، وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. ذكر ابن عبد البر في كتاب العلم له عن عبد الرحمن بن يزيد: أنه رأى محرماً عليه ثيابه، فنهى المحرم فقال: ايتني بأية من كتاب الله تنزع ثيابي قال: فقرأ عليه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾. وعن هشام بن حجير قال: كان طاوس يصلي ركعتين بعد العصر، فقال ابن عباس: اتركهما فقال: إنما نهى عنهما أن تتخذنا

(١) هو محمد بن السائب بن بشير الكلبي: كذاب متهم بالرفض. التقريب (٤٧٩).

(٢) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي تابعي جليل (ت ٩٨هـ).

قال الشيخ الألباني في المشكاة (١/ ٨٢، ٨٣): الحديث مرسل؛ لأن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري هذا تابعي راوي الحديث مقل كما قال الذهبي، وروايته عن معاذ بن رفاعة ليست بعملة، لكن الحديث قد روى موصولاً من طريق جماعة من الصحابة وصحح بعض طرقه الحافظ العلاتي في (بغية الملتبس ص ٣، ٤) وروى الخطيب البغدادي في شرف أهل الحديث (٣٥/ ٢) عن مهنا بن يحيى قال: سألت أحمد - يعني - ابن حنبل عن معاذ بن رفاعة عن إبراهيم هذا، فقلت لأحمد: كأنه كلام موضوع؟ فقال: لا وهو صحيح، فقلت له: ممن سمعته أنت؟ قال: من غير واحد. قلت: من هم؟ قال: حدثني به مسكين إلا أنه يقول: معاذ بن القاسم بن عبد الرحمن. قال أحمد: معاذ بن رفاعة: لا بأس به، وقد جمعت طائفة من طرق الحديث والنية متوجهة لتحقيق القول فيها لأول فرصة تسنح لنا إن شاء الله تعالى. انتهى.

قلت: ولعله حسن بهذه الطرق إن شاء الله.

سنة، فقال ابن عباس: قد نهى رسول الله ﷺ عن صلاة بعد العصر، فلا أدري أتعدّب عليهما أم تؤجر، لأن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الاحزاب: ٣٦] (١). وروى أبو داود عن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألا وإني قد أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السباع، ولا لقطة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقرّوه» (٢)، فإن لم يقرّوه فله أن يعقبهم بمثل قراه» (٣).

قال الخطابي (٤): قوله: «أوتيت الكتاب ومثله معه» يحتمل وجهين من التأويل: أحدهما: أن معناه: أنه أوتي من الوحي الباطن غير المتلو، مثل ما أعطي من الظاهر المتلو. والثاني: أنه أوتي الكتاب وحياً يتلى، وأوتي من البيان مثله، أي: أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرع ما في الكتاب؛ فيكون في وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن. وقوله: «يوشك رجل شبعان» الحديث. يحذّر بهذا القول من مخالفة السنن التي سنّها ما ليس له في القرآن ذكر على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض، فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا السنن التي قد ضمنت بيان الكتاب، قال: فتحيروا وضلوا، قال: والأريكة: السرير، ويقال: إنه لا يسمى أريكة حتى يكون في حَجَلَة (٥)، قال: وإنما أراد بالأريكة أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم من مظانّه. وقوله: «إلا أن يستغني عنها صاحبها؛ معناه أن يتركها صاحبها لمن أخذها استغناء عنها؛ كقوله: ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ [التغابن: ٦] معناه: تركهم الله استغناء عنهم. وقوله: «فله أن يعقبهم بمثل قراه» هذا في حال المضطر الذي لا يجد طعاماً ويخاف التلف على نفسه، فله أن يأخذ من مالهم بقدر قراه عوض ما حرّمه من قراه. و«يعقبهم» يروى مشدداً ومخففاً من المعاقبة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ [النحل: ١٢٦] أي: فكانت الغلبة لكم فغنمتم منهم، وكذلك لهذا أن يغنم من أموالهم بقدر قراه. قال: وفي الحديث دلالة على أنه لا حاجة بالحديث إلى أن يعرض على الكتاب، فإنه مهما ثبت عن رسول الله ﷺ كان حجة بنفسه؛ قال: فأما ما رواه بعضهم أنه قال: «إذا جاءكم الحديث فأعرضوه على كتاب الله، فإن وافقه فخذوه وإن لم يوافقه فردّوه» (٦) فإنه حديث باطل لا أصل له.

(١) حسن: البيهقي (٢/ ٤٥٣) في السنن الكبرى، والحاكم (١/ ١١٠) في المستدرک، وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) يقرّوه ويكرّموه: والقرى: الإحسان إلى الضيف. اللسان «قرى».

(٣) صحيح: أبو داود (٤٦٠٤) في السنة بلفظه، والترمذي (٢٦٦٤) في العلم، وابن ماجه (١٢) في المقدمة بنحوه، وصححه الألباني في هذا المواضع جميعاً.

(٤) هو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب السبتي الخطابي (ت ٣٨٨هـ).

(٥) الحجلة: كأنها قبة العروس وهي تنزين بالثياب والأسرة والستور. اللسان «حجل».

(٦) باطل: قال الشافعي في الرسالة ص ٢٣٥: «إنما هي رواية منقطعة عن رجل مجهول»، وقال البيهقي عن هذا الحديث: «رواه خالد بن أبي كريمة، عن أبي جعفر، عن رسول الله ﷺ وخالد مجهول»، وأبو جعفر ليس بصحابي فالحديث منقطع، وقاله السيوطي (ص ١٥ في مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة)، وقال ابن حزم (٢/ ٧٦ في الأحكام) عن الحسن بن عبد الله أحد رواة هذا الحديث: «ساقط منهم بالزندقة» فالحديث باطل.

ثم البيان منه ﷺ على ضربين: بيان لمجمل في الكتاب، كيبانه للصلوات الخمس في مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكيانه لمقدار الزكاة ووقتها وما الذي تؤخذ منه من الأموال، وبيانه لمناسك الحج؛ قال ﷺ: «إذ حج بالناس: «خذوا عني مناسككم»» (١). وقال: «صلوا كما رأيتوني أصلي» (٢). أخرجه البخاري. وروى ابن المبارك عن عمران بن حصين أنه قال لرجل: إنك رجل أحمق، أتجد الظُّهر في كتاب الله أربعاً لا يُجهر فيها بالقراءة ثم عدّد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله مفسراً إن كتاب الله تعالى أبهم هذا، وإن السنة تفسّر هذا (٣). وروى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك (٤). وروى سعيد بن منصور: حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن مكحول قال: القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن (٥). وبه عن الأوزاعي قال قال يحيى بن أبي كثير: السنة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاضٍ على السنة (٦). قال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل وسئل عن هذا الحديث الذي روي أن السنة قاضية على الكتاب فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله، ولكني أقول: إن السنة تفسّر الكتاب وتبينه (٧).

وبيان آخر وهو زيادة على حكم الكتاب كتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها، وتحريم الحُر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، والقضاء باليمين مع الشاهد وغير ذلك، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

## باب كيفية التعلّم والفقّه لكتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ

### وما جاء أنه سهل على من تقدّم العمل به دون حفظه

ذكر أبو عمرو الداني (٨) في كتاب «البيان» له بإسناده عن عثمان وابن مسعود وأبي: أن رسول الله ﷺ كان يُقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل، فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً. وذكر عبد الرزاق عن معمر بن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلّم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها

- (١) صحيح : مسلم (١٢٩٧) في الحج، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .
- (٢) متفق عليه : البخاري (٦٣١) في الأذان ، ومسلم (٦٧٤ / ٢٩٢ ، ٢٩٣) في المساجد ومواضع الصلاة .
- (٣) رواه الحاكم (١٠٩ / ١ ، ١١٠) ، والخطيب (ص ٣٨) في الكفاية بنحوه، وسنده حسن ، ورواه الأجرى بلفظه (١٠٤) في الشريعة، لكن بسند ضعيف .
- (٤) صحيح : الخطيب (١٥ / ١) في الكفاية .
- (٥) صحيح : السيوطي (١٦٩) في مفتاح الجنة، والخطيب (٣٥) في الكفاية .
- (٦) صحيح : الهروي (ق ٣٠ / ١) عن سعيد بن منصور صحيحاً ، والدارمي (٥٩٣) بسند حسن .
- (٧) صحيح مقطوع : الكفاية (١٥ / ١) للخطيب البغدادي .

(٨) هو أبو عمرو: عثمان بن سعيد الأموي القرطبي المعروف بـ (أبي عمرو الداني) من أئمة القراءات والقرآن وروايته وتفسيره وإعرابه ، واشتهر بـ (ابن الصيرفي) وله كتاب «جامع البيان في القراءات السبع» وغيره توفي سنة ٤٤٤هـ .

وأمرها ونهيتها<sup>(١)</sup>. وفي موطأ مالك: أنه بلغه أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانين سنين يتعلمها<sup>(٢)</sup>. وذكر أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ في كتابه المسمى «أسماء» من روى عن مالك؛ عن مرداس بن محمد أبي بلال الأشعري قال: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر قال: تعلم عمر البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما ختمها نحر جزوراً<sup>(٣)</sup>. وذكر أبو بكر الأنباري: حدثني محمد بن شهر يار، حدثنا حسين بن الأسود، حدثنا عبيد الله بن موسى عن زياد بن أبي مسلم أبي عمرو عن زياد بن مخرق قال: قال عبد الله بن مسعود: إِنَّا صَعَبُ عَلَيْنَا حِفْظَ الْقُرْآنِ، وَسَهْلٌ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِهِ، وَإِنْ مِنْ بَعْدِنَا يَسْهَلُ عَلَيْهِمْ حِفْظَ الْقُرْآنِ، وَيَصْعَبُ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ بِهِ<sup>(٤)</sup>.

حدثنا إبراهيم بن موسى، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن المهاجر عن أبيه عن مجاهد عن ابن عمر قال: كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة أو نحوها، ورزقوا العمل بالقرآن؛ وإن آخر هذه الأمة يقرؤون القرآن منهم الصبي والأعمى ولا يرزقون العمل به. حدثني حسن بن عبد الوهاب أبو محمد بن أبي العنبر حدثنا أبو بكر بن حماد المقرئ قال: سمعت خلف بن هشام البزار يقول: ما أظن القرآن إلا عارية<sup>(٥)</sup> في أيدينا، وذلك إِنَّا رَوَيْنَا أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَفِظَ الْبَقْرَةَ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ سَنَةٍ، فَلَمَّا حَفِظَهَا نَحَرَ جَزُورًا شُكْرًا لِلَّهِ، وَإِنَّ الْغُلَامَ فِي دَهْرِنَا هَذَا يَجْلِسُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَيَقْرَأُ ثَلَاثَ الْقُرْآنِ لَا يُسْقِطُ مِنْهُ حَرْفًا، فَمَا أَحْسَبَ الْقُرْآنَ إِلَّا عَارِيَةً فِي أَيْدِينَا. وقال أهل العلم بالحديث: لا ينبغي لطالب الحديث أن يقتصر على سماع الحديث وكتبه، دون معرفته وفهمه، فيكون قد أتعب نفسه من غير أن يظفر بطائل، وليكن تحفظه للحديث على التدرج قليلاً قليلاً مع الليلي والأيام. ومن ورد عنه ذلك من حفاظ الحديث شعبة وابن علية ومعمّر، قال معمّر: سمعت الزهري يقول: من طلب العلم جُمْلَةً فاته جملة، وإنما يدرك العلم حديثاً وحديثين، والله أعلم. وقال معاذ بن جبل: اعلّموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا. وقال ابن عبد البر: وروى عن النبي ﷺ

(١) حسن: المصنف (٣/ ٣٨٠) (٦٠٢٧) لعبد الرزاق، وفيه عطاء بن السائب قد اختلط بأخرة.

(٢) ضعيف: كذا رواه مالك بلاغاً (١/ ٢٠٥ / برقم ٤٧٩١)، وانظر: شعب الإيمان (٢/ ٣٣١) للبيهقي.

قلت: وقال ابن عثيمين - رحمه الله (ص ١١ في شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن) - ط دار الغد الجديد: (فعلى الناس أن يتلقوا معنى كلام الله كما تلقاه الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم كانوا إذا قرؤوا عشر آيات أو أقل أو أكثر لم يتجاوزوها حتى يعرفوا ويحققوا ما دلت عليه من الإيمان والعلم والعمل، فينزلونها على الأحوال الواقعة، ويؤمنون بما احتوت عليه العقائد والأخبار، وينقادون لأوامرها ونواهيها ويطبقونها على جميع ما يشهدون من الحوادث والوقائع الموجودة بهم وبغيرهم، ويحاسبون أنفسهم: هل هم قائلون أو مخلون بحقوقها ومطلوبها؟ وكيف الطريق إلى الثبات على هذه الأمور النافعة؟، وتدارك ما نقص منها... فمن سلك هذا الطريق الذي سلكوه وجدّ واجتهد في تدبر علوم الله، وانفتح له الباب الأعظم في التفسير، وقويت معرفته واستنارت بصيرته) انتهى.

(٣) صحيح: رواه البيهقي (٢/ ٣٣١) في شعب الإيمان.

(٤) منقطع: زياد بن مخرق البصري لم يسمع ابن مسعود رضي الله عنه كما في الكنى والأسماء (١/ ٢٣٤).

(٥) العارية: الشيء المستعار.

مثل قول معاذ من رواية عباد بن عبد الصمد، وفيه زيادة: أن العلماء همّتهم الدراية، وأن السفهاء همّتهم الرواية (١). وروي موقوفاً وهو أولى من رواية من رواه مرفوعاً (٢)؛ وعباد بن عبد الصمد ليس ممن يُحتج به. ولقد أحسن القائل في نظمه في فضل العلم وشرف الكتاب العزيز والسنة الغراء:

إنّ العلوم وإن جلّت محاسنها      فتاجها ما به الإيمان قد وجبَا  
هو الكتاب العزيزُ اللهُ يحفظهُ      وبعد ذلك علم فرج الكُربَا  
فذاك فاعلم حديث المصطفى فيه      نور النبوة سنّ الشرع والأدبا  
وبعد هذا علومٌ لا انتهاء لها      فاختر لنفسك يا من أثر الطلبَا  
والعلم كنز تجده في معادنه      يا أيها الطالب ابحث وانظر الكتابَا  
واتل بفهم كتاب الله فيه أتت      كلّ العلوم تدبره تر العجبا  
واقرا هُديت حديث المصطفى وسلنْ      مولاك ما تشتهي يقضي لك الأربَا (٣)  
من ذاق طعمًا لعلم الدين سرّ به      إذا تزيّد منه قبال واطربَا

### باب معنى قول النبي ﷺ

#### «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه»

روى مسلم عن أبي بن كعب: أن النبي ﷺ كان عند أضاة (٤) بني غفار، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرف؛ فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمّتي لا تطيق ذلك». ثم أتاه الثانية، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على حرفين فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمّتي لا تطيق ذلك». ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على ثلاثة أحرف؛ فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمّتي لا تطيق ذلك». ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمّتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا (٥). وروى الترمذي عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل فقال: «يا جبريل إني بعثت إلى أمة

(١) قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله: «فعلّم الحديث رواية: يبحث عمّا يُنقل عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وأحواله، ويبحث فيما يُنقل لا في النقل».

وعلم الحديث دراية فهو: علم يبحث فيه عن أحوال الراوي مقبول أم مردود؟ أمّا المروي فإنه يُبحث فيه هذا الحديث ما هو المقبول منه وما هو المردود». شرح البيهقيونية (ص ١٠) مختصراً.

(٢) وقال في البيهقيونية:

وما أضيف للنبي المرفوع وما يتابع هو المقطوع

قلت: وللصحابي الموقوف.

انظر: شرح البيهقيونية (ص ٥٠، ٥١) لابن عثيمين.

(٣) الأربا: الحاجة. اللسان «أرب».

(٤) الأضاة: بفتح الهمزة وبضاد معجمة مقصورة: الماء المستقع كالغدير، وجمعها (أضى)، كحصاة وحصى.

شرح النووي على مسلم (٣/ ٣٢٩).

(٥) صحيح: مسلم (٨٢١/ ٢٧٤) في صلاة المسافرين وقصرها.

أمية منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لا يقرأ كتاباً قطُّ فقال لي: يا محمد، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف. قال هذا: حديث صحيح<sup>(١)</sup>. وثبت في الأمهات: البخاري ومسلم والموطأ وأبي داود والنسائي وغيرها من المصنّفات والمسندات قصة عمر مع هشام بن حكيم، وسيأتي بكماله في آخر الباب مبيناً إن شاء الله تعالى.

وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ذكرها أبو حاتم محمد ابن حبان البُستي، نذكر منها في هذا الكتاب خمسة أقوال:

**الأول:** وهو الذي عليه أكثر أهل العلم كسفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب والطبري والطحاوي وغيرهم: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتشاربة بالفاظ مختلفة، نحو أقبل وتعال وهلم. قال الطحاوي<sup>(٢)</sup>: وأبين ما ذكر في ذلك حديث أبي بكر قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال اقرأ على حرف؛ فقال ميكائيل: استزده؛ فقال: اقرأ على حرفين؛ فقال ميكائيل: استزده، حتى بلغ إلى سبعة أحرف؛ فقال: اقرأ فكلُّ شاف كاف إلا أن تخلط آية رحمة بآية عذاب، أو آية عذاب بآية رحمة<sup>(٣)</sup>؛ على نحو هلم وتعال وأقبل وأذهب وأسرع وعجل. وروى ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ «لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا» [الحديد: ١٣]: «لِلَّذِينَ آمَنُوا أهملونا، لِلَّذِينَ آمَنُوا آخرونَا، لِلَّذِينَ آمَنُوا ارقبونَا». وبهذا الإسناد عن أبي أنه كان يقرأ «كَلِمًا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ» [البقرة: ٢٠]: «مَرَّوًا فِيهِ، سَعَّوًا فِيهِ»<sup>(٤)</sup>. وفي البخاري ومسلم: قال الزهري: إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال ولا حرام<sup>(٥)</sup>.

قال الطحاوي: إنما كانت السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، لأنهم كانوا أميين لا يكتب إلا القليل منهم؛ فلما كان يشق على كل ذي لغة أن يتحول إلى غيرها من اللغات؛ ولو رام ذلك لم يتهاى له إلا بمشقة عظيمة، فوسَّع لهم في اختلاف اللفاظ إذ كان المعنى متفقاً، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم إلى لسان رسول الله ﷺ، فقدروا بذلك على تحفظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذ أن يقرؤوا بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما كان في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد<sup>(٦)</sup>.

روى أبو داود عن أبي قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أباي إني أقرئت القرآن فقبل لي: على

(١) صحيح: الترمذي (٢٩٤٤) في القراءات، وصححه الألباني

(٢) هو أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي أبو جعفر، كان شافعيًا ثم تحول إلى المذهب الحنفي، صاحب الزني-إذ كان شافعيًا وهو من مشاهير الشراخ للعقائد (ت ٣٢١هـ).

(٣) حسن بشواهد: أحمد (٥/ ٤١) في المسند، وفيه علي بن زيد بن جدعان صاحب مناكير، ويشهد له الحديث قبل السابق.

(٤) صحيح الإسناد: ابن عبد البر (٨/ ٢٩١) في التمهيد.

قلت: وهي قراءة تفسيرية: ط وزارة الأوقاف - المغرب. لا تتعدى ذلك.

(٥) متفق عليه: البخاري (٤٩٩٠) في فضائل القرآن، ومسلم (٨١٩)، و (٢٧٢/ ٨١٩) في صلاة المسافرين.

(٦) التمهيد (٨/ ٢٩١، ٢٩٢) لابن عبد البر - رحمه الله.

حرف أو حرفين فقال المَلَك الذي معي قل على حرفين فقل لي على حرفين أو ثلاثة فقال المَلَك الذي معي قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تخلط آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب<sup>(١)</sup>. وأسند ثابت بن قاسم نحو هذا الحديث عن أبي هريرة.؛ عن النبي ﷺ، وذكر من كلام ابن مسعود نحوه. قال القاضي ابن الطيب<sup>(٢)</sup>: وإذا ثبتت هذه الرواية يريد حديث أبي حمل على أن هذا كان مطلقاً ثم نُسخ، فلا يجوز للناس أن يبدلوا اسماً لله تعالى في موضع بغيره مما يوافق معناه أو يخالف.

**القول الثاني:** قال قوم: هي سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلها؛ يَمَنَّا ونَزَارَهَا؛ لأن رسول الله ﷺ لم يجهل شيئاً منها، وكان قد أوتي جوامع الكلم؛ وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن. قال الخطابي: على أن في القرآن ما قد قرئ بسبعة أوجه، وهو قوله: ﴿وَعَبْدَ الطَّاغُوتِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقوله: وقوله: ﴿أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَع وَيَلْعَبُ﴾ [يوسف: ٤١٢] وذكر وجوها، كأنه يذهب إلى أن بعضه أنزل على سبعة أحرف لا كله. وإلى هذا القول بأن القرآن أنزل على سبعة أحرف، على سبع لغات ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام واختاره ابن عطية. قال أبو عبيد: وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض، وذكر حديث ابن شهاب عن أنس أن عثمان قال لهم حين أمرهم أن يكتبوا المصاحف: ما اختلفتم أنتم وزيد فاكتبوه بلغة قريش، فإنه نزل بلغتهم. ذكره البخاري<sup>(٣)</sup>، وذكر حديث ابن عباس قال: نزل القرآن بلغة الكعبيين: كعب قريش، وكعب خزاعة: قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأن الدار واحدة<sup>(٤)</sup>. قال أبو عبيد: يعني أن خزاعة جيران قريش فأخذوا بلغتهم.

قال القاضي ابن الطيب رضي الله عنه: معنى قول عثمان: فإنه نزل بلسان قريش، يريد معظمه وأكثره، ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره منزل بلغة قريش فقط، إذ فيه كلمات وحروف هي خلاف لغة قريش، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف: ٣] ولم يقل: قريشياً، وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب، وليس لأحد أن يقول: إنه أراد قريشياً من العرب دون غيرها، كما أنه ليس له أن يقول: أراد لغة عدنان دون قحطان، أو ربيعة دون مضر؛ لأن اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولاً واحداً.

وقال ابن عبد البر: قبول من قال: إن القرآن نزل بلغة قريش معناه عندي في الأغلب؛ والله أعلم؛ لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها، وقريش لا تهزم. وقال ابن عطية<sup>(٥)</sup>: معنى قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» أي: فيه عبارة سبع

(١) صحيح: أبو داود (١٤٧٧) في الصلاة، وصححه الألباني هناك.  
 (٢) هو أبو بكر محمد بن الطبيب الباقلائي (ت ٤٠٣هـ). كان قاضياً أصولياً فقهياً، صاحب ردود على المخالفين لمذهب أهل السنة.

(٣) صحيح: البخاري (٤٩٨٧) في فضائل القرآن.

(٤) ذكره الحافظ ابن حجر (٩/ ٢٧) في فتح الباري.

(٥) المحرر الوجيز (١/ ٤٤) لابن عطية.

قبائل بلغة جملتها نزل القرآن، فيعبر عن المعنى فيه مرةً بعبارة قريش، ومرة بعبارة هذيل، ومرة بغير ذلك بحسب الألفح والأوجز في اللفظ، ألا ترى أن «فطر» معناه عند غير قريش: ابتداء [خلق الشيء وعمله] فجاءت في القرآن فلم تتجه لابن عباس؛ حتى اختصم إليه أعرابيان في بشر، فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ قال ابن عباس: ففهمت حينئذ موضع قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] (١). وقال أيضاً: ما كنت أدري معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩] حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها: تعال أفاتحك؛ أي: أحاكمك. وكذلك قال عمر بن الخطاب وكان لا يفهم معنى قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] أي: على تنقص لهم. وكذلك اتفق لقطبة بن مالك إذ سمع النبي ﷺ يقرأ في الصلاة: ﴿وَالنَّخْلُ بِأَسْبَاطٍ﴾ [ق: ١٠] ذكره مسلم في باب القراءة في صلاة الفجر (٢) إلى غير ذلك من الأمثلة.

**القول الثالث:** أن هذه اللغات السبع إنما تكون في مضر؛ قاله قوم، واحتجوا بقول عثمان: نزل القرآن بلغة مضر، جائز أن يكون منها لقريش، ومنها لكنانة، ومنها لأسد، ومنها لهذيل، ومنها لتيم، ومنها لضبة، ومنها لقيس، قالوا: هذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب؛ وقد كان ابن مسعود يحب أن يكون الذين يكتبون المصاحف من مضر. وأنكر آخرون أن تكون كلها من مضر، وقالوا: في مضر شواذ لا يجوز أن يقرأ القرآن بها، مثل كَشْكَشَة قَيْسٍ وَتَمْتَمَة تَمِيمٍ؛ فأما كَشْكَشَة قَيْسٍ فإنهم يجعلون كاف المؤنث شينا، فيقولون في ﴿جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]: جعل رُبُّشٍ تَحْتَشِ سَرِيًّا؛ وأما تَمْتَمَة تَمِيمٍ فيقولون في الناس: النات، وفي أكياس: أكيات. قالوا: وهذه لغات يرغب عن القرآن بها، ولا يحفظ عن السلف فيها شيء.

وقال آخرون: أما إبدال الهمزة عينا (٣) وإبدال حروف الخلق بعضها من بعض، فمشهور عن الفصحاء، وقد قرأ به الجلة، واحتجوا بقراءة ابن مسعود: «لَيْسَ جُنَّةٌ عَتَى حِينَ ذَكَرَهَا أَبُو دَاوُدَ» ويقول ذي الرمة (٤):

فَعَيْنَاكِ عَيْنَاهَا وَجَيْدُكِ جَيْدُهَا      وَلَوْ نُوكِ إِلَّا عَنَّا غَيْرُ طَائِلِ

يريد إلا أنها.

**القول الرابع:** ما حكاه صاحب الدلائل عن بعض العلماء، وحكى نحوه القاضي ابن الطيب قال: تدبرت وجوه الاختلاف في القراءة فوجدتها سبعا: منها ما تتغير حركته، ولا يزول معناه ولا صورته، مثل: ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [هود: ٧٨] وأَطْهَرَ، ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي﴾ [الشعراء: ١٣] ويضيق. ومنها ما لا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب، مثل: ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبا: ١٩] وباعد. ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف، مثل قوله: ﴿نَنْشُرْهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] ونشرها. ومنها ما تتغير صورته ويبقى معناه: ﴿كَالْمُهِنِ الْمَفْشُوشِ﴾ [القارعة: ٥] وكالصوف المفشوش. ومنها ما تتغير

(١) صحيح: شعب الإيمان (٢/ ٢٥٨) للبيهقي.

(٢) صحيح: مسلم (٤٥٧/ ١٦٥ - ١٦٧) في الصلاة.

(٣) هذا يسمى (العننة) في اللغة ص ١٢٥ للدكتور إبراهيم الدسوقي.

(٤) هو الشاعر غيلان بن عقبة بن نهيس، من مضر، وله كقيس محبوبه هي (مئة). وفيات الأعيان (١/ ٤٠٤).

صورته ومعناه، مثل: ﴿وَطَلَحَ مَضُودٌ﴾ [الواقعة: ٢٩] وطلع منضود. ومنها بالتقديم والتأخير كقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق: ١٩] وجاءت سكرة الحق بالموت. ومنها بالزيادة والنقصان، مثل قوله: تسع وتسعون نجمة أنثى، وقوله: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين، وقوله: فإن الله من بعد إكراههنّ لهنّ غفور رحيم.

القول الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة معاني كتاب الله تعالى، وهي أمرٌ، ونهيٌ، ووعدٌ، ووعيدٌ، وقصصٌ، ومجادلةٌ، وأمثال. قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن هذا لا يسمى أحرفاً، وأيضاً فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال، ولا في تغيير شيء من المعاني. وذكر القاضي ابن الطيب في هذا المعنى حديثاً عن النبي ﷺ، ثم قال: ولكن ليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها، وإنما الحرف في هذه بمعنى الجهة والطريقة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] فكذلك معنى هذا الحديث على سبع طرائق من تحليل وتحريم وغير ذلك. وقد قيل: إن المراد بقوله عليه السلام: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» القراءات السبع التي قرأ بها القراء السبعة؛ لأنها كلها صحت عن رسول الله ﷺ، وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه على ما يأتي.

فصل: قال كثير من علمائنا كالدَّوْدِي وابن أبي صَفْرَةَ وغيرهما: هذه القراءات السبع التي تنسب لهؤلاء القراء السبعة، ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف، ذكره ابن النحاس وغيره. وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أن كل واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى، فالتزمه طريقة ورواه وأقرأ به واشتهر عنه، وعرف به ونُسب إليه، فقليل: حرف نافع، وحرف ابن كثير؛ ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره بل سوغه وجوزه، وكل واحد من هؤلاء السبعة روي عنه اختيران أو أكثر، وكلٌ صحيح. وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صح عن هؤلاء الأئمة مما روه ورأوه من القراءات وكتبوا في ذلك مصنفات، فاستمر الإجماع على الصواب، وحصل ما وعد الله به من حفظ الكتاب، وعلى هذا الأئمة المتقدمون والفضلاء المحققون كالقاضي أبي بكر بن الطيب والطبري وغيرهما. قال ابن عطية: ومضت الأعصار والأمصار على قراءة السبعة وبها يصلّى لأنها ثبتت بالإجماع؛ وأما شاذّ القراءات فلا يصلّى به لأنه لم يجمع الناس عليه، أما أن المروي منه عن الصحابة رضي الله عنهم وعن علماء التابعين فلا يمتدّ فيه إلا أنهم روه، وأما ما يؤثر عن أبي السَّمَّال ومن قارنه فإنه لا يوثق به. قال غيره: أما شاذّ القراء<sup>(١)</sup> عن المصاحف المتواترة فليست

(١) القراءة الشاذة: هي التي فقدت ركناً من الأركان الثلاثة التي ذكرها ابن الجزري في قوله:

كل ما وافق وجه نحو	وكان للرسم احتمالاً يحوى
وصح إسناداً هو القرآن	فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت	شذوذهُ لو أنه في السبعة

وقد اختلف العلماء في الاحتجاج بها على مذهبين:

المذهب الأول: أنها حجة ويجب العمل بها، وهو مذهب الحنفية، والراجح عند الحنابلة، ورواية عن مالك=

بقرآن، ولا يُعمل بها على أنها منه، وأحسنُ محاملها أن تكون بيانَ تأويل مذهب من نُسبت إليه؛ فقرأه ابن مسعود: « فصيماً ثلاثة أيام متتابعات ». فأما لو صرح الراوي بسماعها من رسول الله ﷺ فاختلف العلماء في العمل بذلك على قولين: النفي والإثبات: وجه النفي أن الراوي لم يروه في معرض الخبر بل في معرض القرآن، ولم يثبت فلا يثبت. والوجه الثاني أنه وإن لم يثبت كونه قرآناً فقد ثبت كونه سنة، وذلك يوجب العمل كسائر أخبار الأحاد.

### فصل في ذكر معنى حديث عمر وهشام :

قال ابن عطية: أباح الله تعالى لنيبٍ عليه السلام هذه الحروف السبعة، وعارضه بها جبريل عليه السلام في عرضاته على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الرصف<sup>(١)</sup>، ولم تقع الإباحة في قوله عليه السلام: « فاقروا ما تيسر منه » بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان معرضاً أن يبدل هذا وهذا حتى يكون غير الذي نزل من عند الله، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي ﷺ ليوسع بها على أمته، فأقرأ مرةً لأبي بما عارضه به جبريل، ومرةً لابن مسعود بما عارضه به أيضاً، وعلى هذا تحيي قراءة عمر بن الخطاب لسورة « الفرقان »، وقراءة هشام بن حكيم لها، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في كل قراءة منهما وقد اختلفا: « هكذا أقراني جبريل »<sup>(٢)</sup> هل ذلك إلا أنه أقره مرةً بهذه ومرةً بهذه؟، وعلى هذا يحمل قول أنس حين قرأ: « إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً » [المزمل: ٦] فقيل له: إنما نقرأ « وَأَقْوَمُ قِيلاً ». فقال أنس: وأصوب قِيلاً، وأقوم قِيلاً وأهياً، واحد؛ وإنما معنى هذا أنها مروية عن النبي ﷺ، وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قوله تعالى: « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ » [الحجر: ٩]. روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة « الفرقان » على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله ﷺ أقرانيها، فكذت أن أعجل عليه، ثم أمهلت حتى انصرف ثم لبيته<sup>(٣)</sup> بردائه، فجننت به رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة « الفرقان » على غير ما أقرتنيها فقال رسول الله ﷺ: « أرسله أقرأ » فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ؛ فقال رسول الله ﷺ: « هكذا أنزلت » ثم قال لي: « اقرأ » فقرأت فقال: « هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه »<sup>(٤)</sup>.

= وكثير من الشافعية .

المذهب الثاني: أنها ليست بحجة ولا يجوز العمل بها، وإليه ذهب الإمام الشافعي - رحمه الله - في أحد أقواله، وبعض أصحابه وهو مذهب الإمام مالك - رحمه الله .

ورواية عن الإمام أحمد - رحمه الله . راجع: تيسير التحرير (٣ / ٩) ، وشرح الكوكب المنير (٢ / ١٣٨) ، وجمع الجوامع بشرح جلال الدين المحلي (١ / ٢٣١) انتهى نقلاً من هامش طبعة دار الحديث .

(١) الرصف : ضم الشيء بعضه إلى بعض . اللسان « رصف » .

(٢) متفق عليه : البخاري (٧٥٥٠) في التوحيد ، ومسلم (٨١٨) في صلاة المسافرين .

(٣) اللبُّ : وسط الصدر والنحر والجمع لبّات ولباب يقال : لبب الرجل ، أي : جعل ثيابه في عنقه وصدره في الخصومة . اللسان « لبب » .

(٤) صحيح : البخاري (٤٩٩٢) في فضائل القرآن .

قلت: وفي معنى حديث عمر، ما رواه مسلم عن أبي بن كعب قال: كنت في المسجد فدخل رجل يصلي، فقرأ قراءة أنكرتها عليه، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءته، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه، ودخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما النبي ﷺ فقرأ، فحسن النبي ﷺ شأنهما؛ فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية<sup>(١)</sup>، فلما رأى النبي ﷺ ما قد غشيتني، ضرب في صدري فضت عرقاً، وكأنا أنظر إلى الله تعالى فرقاً، فقال لي: «يا أباي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمّتي، فردّ إليّ الثانية أقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمّتي، فردّ إليّ الثالثة أقرأه على سبعة أحرف، فلّك بكل ردة ردّتكها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمّتي، اللهم اغفر لأمّتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ فيه كلهم حتى إبراهيم عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

قول أبي رضي الله عنه: فسقط في نفسي. معناه: اعترتني حيرة ودهشة؛ أي أصابته نزعة من الشيطان ليشوش عليه حاله، ويكدر عليه وقته؛ فإنه عظم عليه من اختلاف القراءات ما ليس عظيماً في نفسه؛ وإلا فأبى شيء يلزم من المحال والتكذيب من اختلاف القراءات، ولم يلزم ذلك والحمد لله في النسخ الذي هو أعظم، فكيف بالقراءة.

ولما رأى النبي ﷺ ما أصابه من ذلك الخاطر نبهه بأن ضربه في صدره، فأعقب ذلك بأن انشرح صدره وتورّ باطنه، حتى آل به الكشف والشرح إلى حالة المعاينة؛ ولما ظهر له قبح ذلك الخاطر خاف من الله تعالى وفاض بالعرق استحياء من الله تعالى، فكان هذا الخاطر من قبيل ما قال فيه النبي ﷺ حين سأله: «إننا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلّم به قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم، قال: «ذلك صريح الإيمان». أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة<sup>(٣)</sup>. وسيأتي الكلام عليه في سورة «الأعراف» إن شاء الله تعالى.

## باب ذكر جمع القرآن،

وسبب كتب عثمان المصاحف وإحراقه ما سواها،

### وذكر من حفظ القرآن من الصحابة رضي الله عنهم في زمن النبي ﷺ

كان القرآن في مدة النبي ﷺ متفرقاً في صدور الرجال، وقد كتب الناس منه في صحف وفي جريد وفي لحاف وظرر وفي خزف وغير ذلك قال الأصمعي: اللّخاف: حجارة بيض رقاق، واحدها لّخفة. والظّرر: حجر له حد كحد السكين، والجمع ظرار؛ مثل رطب ورطاب، وربّع ورباع، وظرّان

(١) قال النووي - رحمه الله : «قال القاضي عياض : معنى قوله هذا : أنه اعترته حيرة ودهشة ، وأن الشيطان نزع في نفسه تكديباً لم يعتقدّه . . وقال المازري : معنى هذا أن وقع في نفس أبي بن كعب نزعة من الشيطان غير مستقرة ، ثم زالت في الحال حين ضرب النبي ﷺ بيده في صدره ففاض عرقاً . شرح النووي على مسلم (٣) / ٣٢٩ .

(٢) صحيح : مسلم (٨٢٠) في صلاة المسافرين وقصرها .

(٣) صحيح : مسلم (١٣٢) في الإيمان .

أيضاً مثل صُرْدٍ وصرِدان فلما استَحَرَ<sup>(١)</sup> القتلُ بالقراء يوم اليمامة في زمن الصديق رضي الله عنه، وقُتل منهم في ذلك اليوم فيما قيل: سبعمائة، أشار عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق رضي الله عنهما بجمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراء، كأبيّ وابن مسعود وزيد؛ فندبا زيد بن ثابت إلى ذلك، فجمعه غير مرتب السور، بعد تعب شديد، رضي الله عنه. روى البخاري عن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتلاً أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استَحَرَ يوم اليمامة بالناس، وإنني أخشى أن يستَحَرَ القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعه، وإنني لأرى أن تجمّع القرآن؛ قال أبو بكر: فقلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال: هو والله خير؛ فلم يزل يراجعني حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيتُ الذي رأى عمر. قال زيد: وعنده عمر جالس لا يتكلم، فقال لي أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا تتهمك، كنتَ تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلّفتي نقلَ جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن؛ قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير؛ فلم أزل أراجع حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر؛ فمقتت فتتبع القرآن أجمعه من الرقاق والأكتاف والعُسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة «التوبة» آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع غيره «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ» إلى آخرها. فكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر<sup>(٢)</sup>. وقال الليث: حدثني عبد الرحمن بن غالب عن ابن شهاب وقال: مع أبي خزيمة الأنصاري. وقال أبو ثابت: حدثنا إبراهيم وقال: مع خزيمة أو أبي خزيمة «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» [التوبة: ١٢٩].

وقال الترمذي في حديثه عنه: فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩]. قال: حديث حسن صحيح<sup>(٣)</sup>.

وفي البخاري عن زيد بن ثابت قال: لما نسخنا الصحف في المصاحف فَقَدْتُ آيةً من سورة «الأحزاب» كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادة رجلين - «رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ»<sup>(٤)</sup>. وقال الترمذي

(١) استَحَرَ: اشتد وكثر. النهاية (١/ ٣٦٤) لابن الأثير.

(٢) صحيح: البخاري (٤٩٨٦) في فضائل القرآن.

الرقاق: ج (رقعة) وهي من جلد أو ورق أو كاغد: فتح (٩/ ١٤).

والكتف: عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان والناس والدواب، كانوا يكتبون فيه لقلّة القراطيس عندهم. فتح (٩/ ١٤).

والعُسب: ج (عسيب) وهو: جريدة من النخل المستقيمة دقيقة يكشط حوصها. فتح (٩/ ١٤).

(٣) صحيح: الترمذي (٣١٠٣) في التفسير، وصححه الألباني هناك.

(٤) صحيح: البخاري (٤٩٨٨) في فضائل القرآن، والترمذي (٣١٠٣) في التفسير.

عنه: فقُصِدَتْ آية من سورة «الأحزاب» كنت أسمع رسول ﷺ يقرأها ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَصَىٰ نَجَبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ﴾ [الأحزاب: ٢٣] فالتمستها فوجدتها عند خزيمه بن ثابت أو أبي خزيمه، فألحقها في سورتها.

قلت: فسقطت الآية الأولى من آخر «براءة» في الجمع الأول، على ما قاله البخاري والترمذي؛ وفي الجمع الثاني فقدت آية من سورة «الأحزاب». وحكى الطبري: أن آية «براءة» سقطت في الجمع الأخير، والأول أصح والله أعلم. فإن قيل: فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه، وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك وفرغ منه؟ قيل له: إن عثمان رضي الله عنه لم يقصد بما صنع جمع الناس على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك؛ على ما يأتي. وإنما فعل ذلك عثمان لأن الناس اختلفوا في القراءات بسبب تفرق الصحابة في البلدان واشتد الأمر في ذلك وعظم اختلافهم وتشبههم؛ ووقع بين أهل الشام والعراق ما ذكره حذيفة رضي الله عنه. وذلك أنهم اجتمعوا في غزوة أرمينية فقرأت كل طائفة بما روي لها؛ فاختلَفوا وتنازعوا وأظهر بعضهم إكفار بعض والبراءة منه وتلاعنوا؛ فأشفق حذيفة مما رأى منهم؛ فلما قدم حذيفة المدينة فيما ذكر البخاري والترمذي - دخل إلى عثمان قبل أن يدخل إلى بيته، فقال: أدرك هذه الأمة قبل أن تهلك قال: في ماذا؟ قال: في كتاب الله، إني حضرت هذه الغزوة، وجمعت ناساً من العراق والشام والحجاز؛ فوصف له ما تقدم وقال: إني أحشى عليهم أن يختلفوا في كتابهم كما اختلف اليهود والنصارى (١).

قلت: وهذا أدل دليل على بطلان من قال: إن المراد بالأحرف السبعة: قراءات القراء السبعة، لأن الحق لا يختلف فيه، وقد روى سويد بن غفلة عن علي بن أبي طالب أن عثمان قال: ما ترون في المصاحف؟ فإن الناس قد اختلفوا في القراءة حتى إن الرجل ليقول: قراءتي خير من قراءتك، وقراءتي أفضل من قراءتك. وهذا شبيه بالكفر؛ قلنا: ما الرأي عندك يا أمير المؤمنين؟ قال: الرأي عندي أن يجتمع الناس على قراءة، فإنكم إذا اختلفتم اليوم كان من بعدكم أشد اختلافًا، قلنا: الرأي رأيك يا أمير المؤمنين؛ فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك؛ فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف. وقال عثمان للرهط القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد ابن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإِنما نزل بلسانهم؛ ففعلوا. حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان المصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (٢). وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار وجملة أهل الإسلام وشاورهم في ذلك؛ فاتفقوا على جمعه بما صح وثبت في القراءات المشهورة عن النبي ﷺ وأطراح ما سواها، واستصوبوا رأيه وكان رأياً سديداً موفقاً؛ رحمة الله عليه وعليهم أجمعين. وقال الطبري فيما روى: إن عثمان قرأ يزيد أبان بن

(١) صحيح: البخاري (٤٩٨٧) في فضائل القرآن.

(٢) صحيح: انظر الحديث السابق.

سعيد بن العاص وحده؛ وهذا ضعيف. وما ذكره البخاري والترمذي وغيرهما أصح. وقال الطبري أيضاً: إن الصحف التي كانت عند حفصة جعلت إماماً في هذا الجمع الأخير؛ وهذا صحيح.

وقال ابن شهاب: وأخبرني عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف، وقال: يا معشر المسلمين، أعزل عن نسخ المصاحف ويتولاه رجل، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر- يريد زيد بن ثابت. ولذلك قال عبد الله بن مسعود: يا أهل العراق، اكنموا المصاحف التي عندكم وعلوها، فإن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلِبْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] فالفقوا الله بالمصاحف<sup>(١)</sup>، خرجه الترمذي. وسيأتي الكلام في هذا في سورة «آل عمران» إن شاء الله تعالى.

قال أبو بكر الأنباري: ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن، وعبد الله أفضل من زيد، وأقدم في الإسلام، وأكثر سوابق، وأعظم فضائل، إلا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبد الله، إذ وعاه<sup>(٢)</sup> كله ورسول الله ﷺ حي، والذي حفظ منه عبد الله في حياة رسول الله ﷺ نيفاً وسبعين<sup>(٣)</sup> سورة، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول ﷺ، فالذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله ﷺ حي أولى بجمع المصحف وأحق بالإيثار والاختيار. ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعناً على عبد الله بن مسعود؛ لأن زيدا إذا كان أحفظ للقرآن منه فليس ذلك موجباً لتقدمته عليه، لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كان زيد أحفظ منهما للقرآن، وليس هو خيراً منهما ولا مساوياً لهما في الفضائل والمناقب. قال أبو بكر: وما بدا من عبد الله بن مسعود من تكبير ذلك فشيء نتجته الغضب، ولا يعمل به ولا يؤخذ به، ولا يشك في أنه رضي الله عنه قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم. فالشائع الذائع المتعالم عند أهل الرواية والنقل: أن عبد الله بن مسعود تعلم بقية القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ. وقد قال بعض الأئمة: مات عبد الله بن مسعود قبل أن يختم القرآن. قال يزيد بن هارون: المعوذتان بمنزلة البقرة وآل عمران، من زعم أنهما ليستا من القرآن فهو كافر بالله العظيم؛ ف قيل له: فقول عبد الله بن مسعود فيهما؟ فقال: لا خلاف بين المسلمين في أن عبد الله بن مسعود مات وهو لا يحفظ القرآن كله.

قلت: هذا فيه نظر، وسيأتي. وروى إسماعيل بن إسحاق وغيره قال حماد أظنه عن أنس بن مالك، قال: كانوا يختلفون في الآية فيقولون أقرأها رسول الله ﷺ فلان بن فلان؛ فمضى أن يكون من المدينة على ثلاث ليال فيرسل إليه فيجاء به، فيقال: كيف أقرأك رسول الله ﷺ آية كذا وكذا؟ فيكتبون كما قال. قال ابن شهاب: واختلفوا يومئذ في التابوت، فقال زيد: التابوت. وقال ابن الزبير وسعيد بن العاص: التابوت؛ فرُفِع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه بالتاء؛ فإنه نزل بلسان قريش. أخرجه البخاري والترمذي<sup>(٤)</sup>. قال ابن عطية: قرأه زيد بالهاء، والقريشون بالتاء، فائتبه بالتاء؛

(١) صحيح: الترمذي (٣١٠٤) في التفسير وصححه الألباني هناك.

(٢) وعاه: فهمه وحفظه.

(٣) في المطبوعات: «نيف وسبعون»، وهو خطأ، والصواب ما أثبتته.

(٤) صحيح: البخاري (٤٩٨٧، ٤٩٨٨) في فضائل القرآن بغير الزيادة الأخيرة، وهي عند الترمذي (٣١٠٤) في

وكتبت المصاحف على ما هو عليه غابر الدهر، ونسخ منها عثمان نسخاً. قال غيره: قيل: سبعة، وقيل: أربعة وهو الأكثر، ووجه بها إلى الآفاق، فوجه للعراق والشام ومصر بأمهات، فاتخذها قرآء الأمصار معتمد اختياراتهم، ولم يخالف أحد منهم مصحفه على النحو الذي بلغه، وما وجد بين هؤلاء القراء السبعة من الاختلاف في حروف يزيدنها بعضهم وينقصها بعضهم؛ فذلك لأن كلاً منهم اعتمد على ما بلغه في مصحفه ورواه، إذ قد كان عثمان كتب تلك المواضع في بعض النسخ ولم يكتبها في بعض إشعاراً بأن كل ذلك صحيح، وأن القراءة بكل منها جائزة. قال ابن عطية: ثم إن عثمان أمر بما سواها من المصاحف أن تُحرق أو تُحرق، تروى بالحاء غير منقوطة وتروى بالحاء على معنى ثم تدفن، ورواية الحاء غير منقوطة أحسن.

وذكر أبو بكر الأنباري في كتاب « الرد » عن سويد بن غفلة قال: سمعت علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول: يا معشر الناس، اتقوا الله وإياكم والغلو<sup>(١)</sup> في عثمان، وقولكم: حرق المصاحف؛ فوالله ما حرقها إلا عن ملامنا أصحاب محمد ﷺ. وعن عمير بن سعيد قال: قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان. قال أبو الحسن بن بطال. وفي أمر عثمان بتحريق الصحف والمصاحف حين جمع القرآن جواز تحريق الكتب التي فيها أسماء الله تعالى، وأن ذلك إكرام لها وصيانة عن الوطء بالأقدام، وطرحها في ضياع من الأرض. روى معمر عن ابن طاوس عن أبيه: أنه كان يحرق الصحف إذا اجتمعت عنده الرسائل فيها بسم الله الرحمن الرحيم. وحرق عمرو بن الزبير كتب فقه كانت عنده يوم الحرّة، وكره إبراهيم أن تحرق الصحف إذا كان فيها ذكر الله تعالى؛ وقول من حرقها أولى بالصواب، وقد فعله عثمان. وقد قال القاضي أبو بكر لسان الأمة: جائز للإمام تحريق الصحف التي فيها القرآن، إذا أذاه الاجتهاد إلى ذلك.

**فصل:** قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وفي فعل عثمان رضي الله عنه ردُّ على الحُلُولِيَّةِ<sup>(٢)</sup> والحشوية<sup>(٣)</sup> القائلين بقدم الحروف والأصوات، وأن القراءة والتلاوة قديمة، وأن الإيمان قديم، والروح قديم؛ وقد أجمعت الأمة وكل أمة من النصارى واليهود والبراهمة بل كل ملحد وموحد أن القديم

(١) الغلو: مجاوزة الحد. مختار الصحاح (ص ٣٠٨).

(٢) الحلولية: هم أهل الحلول قاتلهم الله، ويقال: أهل الحلول والاتحاد قالوا - فيحهم الله: إن الله في العالم كالماء في الصوفة، وكالحياة في الجسم، وإنه بذاته في كل مكان، كأنه الشمعة التي تتخذ عدة أشكال، فهو عندهم الوجود واختلاف أحواله باختلاف أحوال الشمعة. من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في جامع الرسائل.

(٣) الحشوية: قوم كانوا يقولون بجواز ورود ما لا معنى له في الكتاب والسنة كالحروف في أوائل السور، وهم القائلون بالتجسيم ونحوه، ومفهوم السلف يرموهم بهذا الاسم فاحذر. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأمر (١/ ٣٥٣).

**قلت:** وهو خطأ، فالسلف لا يقولون بورود ما لا معنى له - بل يقرون بالمعنى الذي أراه تعالى كقولهم: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب) أما الحشوية ينكرون أن يكون للاستواء معنى!! فاعقل وانته.

لا يُفَعَّل ولا تتعلّق به قدرة قادر بوجه ولا بسبب، ولا يجوز العدم على القديم وأن القديم لا يصير مُحدثاً، والمحدث لا يصير قديماً، وأن القديم ما لا أوّل لوجوده، وأن المحدث هو ما كان بعد أن لم يكن. وهذه الطائفة خرقت إجماع العقلاء من أهل الملل وغيرهم؛ فقالوا: يجوز أن يصير المحدث قديماً، وأن العبد إذا قرأ كلام الله تعالى فعل كلاماً لله قديماً، وكذلك إذا نحت حروفاً من الأجر والخشب، أو صاغ أحرفاً من الذهب والفضة، أو نسج ثوباً فنقش عليه آية من كتاب الله فقد فعل هؤلاء كلام الله قديماً، وصار كلامه منسوجاً قديماً ومنحوتاً قديماً ومصوغاً قديماً؛ فيقال لهم: ما تقولون في كلام الله تعالى، أيجوز أن يذاب ويمحى ويحرق؟ فإن قالوا: نعم، فارقوا الدين، وإن قالوا: لا، قيل لهم: فما قولكم في حروف مصوّرة آية من كتاب الله تعالى من شمع، أو ذهب أو فضة أو خشب أو كاغد فوقعت في النار فذابت واحترقت، فهل تقولون: إن كلام الله احترق؟ فإن قالوا: نعم، تركوا قولهم؛ وإن قالوا: لا، قيل لهم أليس قلت: إن هذه الكتابة كلام الله وقد احترقت وقلتم: إن هذه الأحرف كلامه وقد ذابت؛ فإن قالوا: احترقت الحروف وكلامه تعالى باق، رجعوا إلى الحق والصواب ودانوا بالجواب؛ وهو الذي قاله النبي ﷺ، منبهاً على ما يقول أهل الحق: «لو كان القرآن في إهاب ثم وقع في النار ما احترق»<sup>(١)</sup> وقال الله عزّ وجلّ: «أنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان»<sup>(٢)</sup> الحديث، أخرجه مسلم. ثبت بهذا أن كلامه سبحانه ليس بحرف ولا يشبه الحروف. والكلام في هذه المسألة يطول، وتتميمها في كتب الأصول، وقد بينها في (الكتاب الأسنى، في شرح أسماء الله الحسنى)<sup>(٣)</sup>.

**فصل:** وقد طعن الرافضة قبّحهم الله تعالى في القرآن، وقالوا: إن الواحد يكفي في نقل الآية والحرف كما فعلتم، فإنكم أثبتتم بقول رجل واحد وهو خزيمه بن ثابت وحده آخر سورة «براءة» وقوله: «**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ**» [الأحزاب: ٢٣]. فالجواب: أن خزيمه رضي الله عنه لما جاء بهما تذكّرهما كثير من الصحابة، وقد كان زيد يعرفهما، ولذلك قال: فقدت آيتين من آخر سورة «التوبة». ولو لم يعرفهما لم يدر هل فقد شيئاً أو لا، فالآية إنما ثبتت بالإجماع لا بخزيمة وحده. جواب ثان: إنما ثبتت بشهادة خزيمه وحده لقيام الدليل على صحتها في صفة النبي ﷺ. فهي قرينة تغني عن طلب شاهد آخر بخلاف آية «الأحزاب» فإن تلك ثبتت بشهادة زيد وأبي خزيمه لسماعهما إياها من النبي ﷺ. قال معناه المهلب، وذكر أن خزيمه غير أبي خزيمه، وأن أبا خزيمه الذي وجدت معه آية التوبة معروف من الأنصار، وقد عرفه أنس وقال: نحن ورثناه، والتي في الأحزاب وجدت مع خزيمه بن ثابت فلا تعارض؛ والقصة غير القصة لا إشكال فيها ولا التباس. وقال ابن عبد البر: أبو خزيمه

(١) حسن: أحمد (٤/ ١٥٤) في المسند، عن عقبه بن عامر، وحسنه الألباني (٥٥٨٢) في صحيح الجامع.

(٢) صحيح: قطعة من حديث طويل رواه مسلم (٢٨٦٥/ ٦٣) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، عن عبيد بن حمار المجاشعي رضي الله عنه.

والمعنى (محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب؛ بل يبقى على مر الأزمان) شرح النووي على مسلم

(٩/ ١٩١).

(٣) الأسنى للقرطبي (٢/ ٥٤ / ٢٠٣).

لا يوقف على صحة اسمه وهو مشهور بكنيته وهو أبو خزيمه بن أوس بن زيد بن أصرم بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد، وتوفى في خلافة عثمان بن عفان، وهو أخو مسعود بن أوس. قال ابن شهاب عن عبيد بن السيِّاق عن زيد بن ثابت: وجدت آخر التوبة مع أبي خزيمه الأنصاري وهو هذا، وليس بينه وبين الحارث بن خزيمه أبي خزيمه نسب إلا اجتماعهما في الأنصار، أحدهما أوسى والآخر خزرجي<sup>(١)</sup>. وفي مسلم والبخاري عن أنس بن مالك قال: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قلت لأنس: من أبو زيد؟<sup>(٢)</sup> قال: أحد عمومتي. وفي البخاري أيضاً عن أنس قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد، وأبو زيد<sup>[قال]</sup>: ونحن ورثناه<sup>(٣)</sup> وفي أخرى قال: مات أبو زيد ولم يترك عقباً، وكان بَدْرِيًّا، واسم أبي زيد سعد بن عبيد. قال ابن الطَّيِّب رضي الله عنه: لا تدل هذه الآثار على أن القرآن لم يحفظه في حياة النبي ﷺ ولم يجمعه غير أربعة من الأنصار كما قال أنس بن مالك، فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان وعليّ وتميم الداريّ وعُباد بن الصامت وعبد الله بن عمرو بن العاص. فقول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة، يحتمل أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقيناً من في رسول الله ﷺ غير تلك الجماعة؛ فإن أكثرهم أخذ بعضه عنه وبعضه عن غيره، وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول ﷺ لهم.

قلت: لم يذكر القاضي: عبد الله بن مسعود وسالماً مولى أبي حذيفة رضي الله عنهما فيما رأيت، وهما ممن جمع القرآن. روى جرير عن عبد الله بن يزيد الصهباني عن كميل قال: قال عمر ابن الخطاب: كنت مع رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ومن شاء الله، فممرنا بعبد الله بن مسعود وهو يصلي، فقال رسول الله ﷺ: «من هذا الذي يقرأ القرآن؟». فقيل له: هذا عبد الله بن أمّ عبد؛ فقال: «إن عبد الله يقرأ القرآن غصّاً كما أنزل»<sup>(٤)</sup>. قال بعض العلماء: معنى قوله: «غصّاً كما أنزل» أي: إنه كان يقرأ الحرف الأوّل الذي أنزل عليه القرآن دون الحروف السبعة التي رُخص لرسول الله ﷺ في قراءته عليها بعد معارضة جبريل عليه السلام القرآن إياه في كل رمضان. وقد روى وكيع وجماعة معه عن الأعمش عن أبي ظبيان قال: قال لي عبد الله بن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى قراءة ابن أمّ عبد؛ فقال لي: بل هي الآخرة، إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ عرضه عليه مرتين، فحضر ذلك عبد الله فعلم ما نُسخ من ذلك وما بُدِّل<sup>(٥)</sup>. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خذوا القرآن من أربعة: من ابن أمّ عبد فبدأ به

(١) الاستيعاب (١/ ٣٥٢، ٣٥٣) برقم (٤١٣) بترقيمي .

(٢) متفق عليه : البخاري (٣/ ٥٠٠) في فضائل القرآن ، ومسلم (٢٤٦٥) في فضائل الصحابة .

(٣) صحيح : البخاري (٤/ ٥٠٠) في فضائل القرآن .

(٤) صحيح : أحمد (١/ ٣٨) في المسند ، وابن ماجه (١٣٨) في المقدمة ، وصححه الألباني (١/ ٢٣٠) في الصحيحة

وقال : « غصا : الغرض : هو الطرى الذي لا يتغير قط ، طريقته في القراءة وهياته فيها » .

(٥) حسن : الاستيعاب (٣/ ٩٩٢) لابن عبد البر .

ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وسالم مولى أبي حذيفة<sup>(١)</sup>.

قلت: هذه الأخبار تدل على أن عبد الله جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ خلاف ما تقدم، والله أعلم. وقد ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب «الرد»: حدثنا محمد بن شهريار، حدثنا حسين بن الأسود، حدثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر عن أبي إسحاق قال: قال عبد الله بن مسعود: قرأت من في رسول الله ﷺ اثنتين وسبعين سورة أو ثلاثاً وسبعين سورة وقرأت عليه من البقرة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] قال أبو إسحاق: وتعلم عبد الله بقية القرآن من مجمع بن جارية الأنصاري.

قلت: فإن صح هذا، صح الإجماع الذي ذكره يزيد بن هارون، فلذلك لم يذكره القاضي أبو بكر بن الطيب مع من جمع القرآن وحفظه في حياة النبي ﷺ، والله أعلم.

قال أبو بكر الأنباري: حدثني إبراهيم بن موسى الحوزي، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا زهير عن أبي إسحاق قال: سألت الأسود: ما كان عبد الله يصنع بسورة الأعراف؟ فقال: ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة؛ قال: وقد قال بعض أهل العلم: مات عبد الله بن مسعود رحمة الله عليه قبل أن يتعلم المعوذتين؛ فلهذه العلة لم توجد في مصحفه، وقيل غير هذا على ما يأتي بيانه آخر الكتاب عند ذكر «المعوذتين» إن شاء الله تعالى.

قال أبو بكر: والحديث الذي حدثناه إبراهيم بن موسى: حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عمر ابن هارون الخراساني عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن كعب القرظي قال: كان ممن ختم القرآن ورسول الله ﷺ حي: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، حديث ليس بصحيح عند أهل العلم، إنما هو مقصور على محمد بن كعب؛ فهو مقطوع لا يؤخذ به ولا يعول عليه.

قلت: قوله عليه السلام: «خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد» يدل على صحته، ومما بين لك ذلك: أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق كل منهم عزاً<sup>(٢)</sup> قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ﷺ، لم يستثن من جملة القرآن شيئاً؛ فأسند عاصم قراءته إلى عليّ وابن مسعود، وأسند ابن كثير قراءته إلى أبي، وكذلك أبو عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أبي، وأما عبد الله بن عامر فإنه أسند قراءته إلى عثمان؛ وهؤلاء كلهم يقولون: قرأنا على رسول الله ﷺ، وأسانيد هذه القراءات متصلة ورجالها ثقات. قاله الخطابي.

### باب ما جاء في ترتيب سور القرآن وآياته، وشكله ونقطه،

#### وتحزيبه وتعشيره، وعدد حروفه وأجزائه وكلماته وآيه

قال ابن الطيب: إن قال قائل: قد اختلف السلف في ترتيب سور القرآن، فمنهم من كتب في مصحفه السور على تاريخ نزولها، وقدم المكي على المدني، ومنهم من جعل في أول مصحفه الحمد،

(١) متفق عليه: البخاري (٣٨٠٨) في مناقب الأنصار، ومسلم (٢٤٦٤) في فضائل الصحابة.

(٢) عزا: نسب. مختار الصحاح «عزا».

ومنهم من جعل في أوله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١]، وهذا أول مصحف علي رضي الله عنه. وأما مصحف ابن مسعود فإن أوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ثم البقرة ثم النساء؛ على ترتيب مختلف. ومصحف أبي كان أوله: الحمد لله، ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم الأعراف ثم المائدة؛ ثم كذلك على اختلاف شديد. قال القاضي أبو بكر بن الطيب: فالجواب: أنه يحتمل أن يكون ترتيب السور على ما هي عليه اليوم في المصحف كان على وجه الاجتهاد من الصحابة. وذكر ذلك مكِّي رحمه الله في تفسيره سورة «براءة» وذكر أن ترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الأوائل هو من النبي ﷺ، ولما لم يأمر بذلك في أول سورة «براءة» تركت بلا بسملة؛ هذا أصح ما قيل في ذلك، وسيأتي.

وذكر ابن وهب في جامعه قال: سمعت سليمان بن بلال يقول: سمعت ربيعة يسأل: لم قُدمت البقرة وآل عمران، وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة وإنما نزلنا بالمدينة؟ فقال ربيعة: قد قُدمتا وأُلف القرآن على علم ممن أُلّفه، وقد اجتمعوا على العلم بذلك، فهذا مما انتهى إليه، ولا نسأل عنه. وقد ذكر سنيد قال: حدثنا معتمر عن سلام بن مسكين عن قتادة قال: قال ابن مسعود: من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب رسول الله ﷺ فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً؛ اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم<sup>(١)</sup>. وقال قوم من أهل العلم: إن تأليف سور القرآن على ما هو عليه في مصحفنا كان عن توقيف من النبي ﷺ، وأما ما روي من اختلاف مصحف أبي وعليّ وعبد الله فيما كان قبل العرض الأخير، وأن رسول الله ﷺ رتب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك. روى يونس عن ابن وهب قال: سمعت مالكا يقول: إنما أُلّف القرآن على ما كانوا يسمعون من رسول الله ﷺ. وذكر أبو بكر الأنباري في كتاب «الرد»: أن الله تعالى أنزل القرآن جملة إلى سماء الدنيا، ثم فرّق على النبي ﷺ في عشرين سنة، وكانت السورة تنزل في أمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر يسأل، ويوقف جبريل رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية؛ فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف، فكلُّه عن محمد خاتم النبيين عليه السلام، عن رب العالمين؛ فمن آخر سورة مقدّمة أو قدّم أخرى مؤخره فهو كمن أفسد نظم الآيات، وغير الحروف والكلمات، ولا حجة على أهل الحق في تقديم البقرة على الأنعام، والأنعام نزلت قبل البقرة لأن رسول الله ﷺ أخذ عنه هذا الترتيب، وهو كان يقول: «ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن»<sup>(٢)</sup>. وكان جبريل عليه السلام يقف على مكان الآيات.

حدثنا حسن بن الحباب، حدثنا أبو هشام، حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء قال: آخر ما نزل من القرآن: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]<sup>(٣)</sup>. قال أبو بكر بن عياش: وأخطأ أبو إسحاق، لأن محمد بن السائب حدثنا عن

(١) وجدته في حلية الأولياء (١/ ٣٠٥) لأبي نعيم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) ضعيف: أحمد (١/ ٥٧) في المسند، وضعفه العلامة شاكر برقم (٣٩٩) هناك، وضعفه الألباني (٣٠٨٦) بترقيمه وتحقيقه لسنن الترمذي - كتاب التفسير، وفي ضعيف أبي داود (١٤٠).

(٣) ضعيف وهذا صحيح: لكن رواه البخاري (٤٦٠٥) في التفسير، ومسلم (١٦١٨) في الفرائض من غير هذا الطريق، فقيه عن سليمان بن حرب... عن أبي إسحاق.

أبي السائب عن ابن عباس قال: آخر ما نزل من القرآن: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]. فقال جبريل للنبي عليهما السلام: يا محمد ضعها في رأس ثمانين ومائتين من البقرة<sup>(١)</sup>.

قال أبو الحسن بن بطلان: ومن قال بهذا القول لا يقول: إن تلاوة القرآن في الصلاة والدرس يجب أن تكون مرتبة على حسب الترتيب الموقَّف عليه في المصحف، بل إنما يجب تأليف سوره في الرسم والخط خاصة، ولا يُعلم أن أحداً منهم قال: إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي قراءة القرآن ودرسه، وأنه لا يحل لأحد أن يتلقَّن الكهف قبل البقرة ولا الحج قبل الكهف؛ ألا ترى قول عائشة رضي الله عنها للذي سألها: لا يضرك آية قرأت قبل؛ وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة، ثم يقرأ في ركعة أخرى بغير السورة التي تليها. وأما ما روي عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرهما أن يقرأ القرآن منكوساً، وقالوا: ذلك منكوس القلب؛ فإنما عنياً بذلك من يقرأ السورة منكوسة، ويستدئ من آخرها إلى أولها؛ لأن ذلك حرام محظور؛ ومن الناس من يتعاطى هذا في القرآن والشعر ليدلل لسانه بذلك ويقدر على الحفظ، وهذا حظره الله تعالى ومنعه في القرآن، لأنه إفساد لسوره ومخالفة لما قصد بها.

ومما يدل على أنه لا يجب إثباته في المصاحف على تاريخ نزوله: ما صح وثبت أن الآيات كانت تنزل بالمدينة فتوضع في السورة المكية، ألا ترى قول عائشة رضي الله عنها: وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده تعني بالمدينة وقد قدمتا في المصحف على ما نزل قبلهما من القرآن بمكة، ولو ألفوه على تاريخ النزول لوجب أن ينتقض ترتيب آيات السور.

قال أبو بكر الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا همام عن قتادة قال: نزل بالمدينة من القرآن: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنور، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، وأبيها النبي لم تُحرّم إلى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله. هؤلاء السور نزلن بالمدينة؛ وسائر القرآن نزل بمكة.

قال أبو بكر: فمن عمل على ترك الأثر والإعراض عن الإجماع ونظم السور على منازلها بمكة والمدينة، لم يدر أين تقع الفاتحة، لاختلاف الناس في موضع نزولها، ويضطر إلى تأخير الآية التي في رأس خمس وثلاثين ومائتين من البقرة إلى رأس الأربعين، ومن أفسد نظم القرآن فقد كفر به، وردّ على محمد ﷺ ما حكاه عن ربه تعالى. وقد قيل: إن علة تقديم المدني على المكي: هو أن الله تعالى خاطب العرب بلغتها، وما تعرف من أفانين خطابها ومحاورتها؛ فلما كان فن من كلامهم مبنياً على تقديم المؤخر وتأخير المقدم خوطبوا بهذا المعنى في كتاب الله تعالى الذي لو فقدوه من القرآن لقالوا: ما باله عربي من هذا الباب الموجود في كلامنا المستحلى من نظامنا. قال عبيد بن الأبرص:

(١) ضعيف: ومحمد بن السائب هو الكلبى: منهم بالكذب.

أَنْ بُدِّلَتْ مِنْهُمْ وَحُوشًا      وَغَيَّرَتْ حَالَهَا الْخَطُوبُ  
عَيْنَاكَ دَمْعُهُمَا سَرُوبٌ      كَأَنَّ شَأْنَيْهِمَا شَعِيبٌ

أراد : عينك دمعهما سرّوب ؛ لأن تبدلت من أهلها وحوشاً، فقدّم المؤخر وأخر المقدم؛ ومعنى سرّوب: منصّب على وجه الأرض. ومنه السارب، للذهاب على وجهه في الأرض؛ قال الشاعر:

أَنْنِي سَرَبْتِ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبٍ (١)

وقوله: شأنيهما، الشأن واحد الشؤن، وهي مواصل قبائل الرأس وملتهاها، ومنها يجيء الدمع. شعيب: متفرّق.

**فصل: وأما شكل المصحف ونقطه،** فرؤي أن عبد الملك بن مروان أمر به وعمله، فتجرّد لذلك الحجاج بواسط وجدّ فيه وزاد تحزيه، وأمر وهو والي العراق الحسن ويحيى بن يعمر بذلك، وألف إثر ذلك بواسط كتاباً في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط، ومشى الناس على ذلك زماناً طويلاً، إلى أن ألف ابن مجاهد كتابه في القراءات.

وأسنده الزبيدي في كتاب «الطبقات» إلى المبرد: أن أوّل من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي؛ وذكر أيضاً أن ابن سيرين كان له مصحف نقطه له يحيى بن يعمر.

**فصل: وأما وضع الأعراس،** فقال ابن عطية: مرّ بي في بعض التواريخ: أن المأمون العباسي أمر بذلك، وقيل: إن الحجاج فعل ذلك. وذكر أبو عمرو الداني في كتاب البيان له عن عبد الله بن مسعود أنه كره التعشير في المصحف، وأنه كان يحكّه. وعن مجاهد أنه كره التعشير والطيب في المصحف. وقال أشهب: سمعت مالكا وسئل عن العشور التي تكون في المصحف بالحمرة وغيرها من الألوان، فكره ذلك، وقال: تعشير المصحف بالحبر لا بأس به، وسئل عن المصاحف يكتب فيها خواتم السور في كل سورة ما فيها من آية، قال: إني أكره ذلك في أمهات المصاحف أن يكتب فيها شيء أو يشكل، فأما ما يتعلم به الغلمان من المصاحف فلا أرى بذلك بأساً. قال أشهب: ثم أخرج إلينا مصحفاً لجده، كتبه إذ كتب عثمان المصاحف، فأرأينا خواتمه من حبر على عمل السلسلة في طول السطر، ورأيت معجوم الآي بالحبر. وقال قتادة: بدؤوا فنقطوا ثم خصّصوا ثم عشروا. وقال يحيى بن أبي كثير: كان القرآن مجرداً في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء والثاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، ثم أحدثوا نقطاً عند منتهى الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم. وعن أبي حمزة قال: رأى إبراهيم النخعي في مصحفه فاتحة سورة كذا وكذا، فقال لي: امحه فإن عبد الله بن مسعود قال: لا تخلطوا في كتاب الله ما ليس فيه. وعن أبي بكر السراج قال: قلت لأبي رزين: أكتب في مصحفه سورة كذا وكذا؟ قال: إني أخاف أن ينشأ قوم لا يعرفونه فيظنونهم من القرآن.

قال الداني رضي الله عنه: وهذه الأخبار كلها تؤذن بأن التعشير والتخميم وفواتح السور ورؤوس الآي من عمل الصحابة رضي الله عنهم، قادم إلى عمله الاجتهاد؛ وأرى أن من كره ذلك منهم ومن غيرهم إنما كره أن يعمل بالألوان كالحمرة والصفرة وغيرهما؛ على أن المسلمين في سائر

(١) ذكره صاحب اللسان (١/ ٤٦٢) وعزاه لقيس بن الخطيم، وعجز البيت:

وتقرّب الأحلام غير قريب

الآفاق قد أطبقوا على جواز ذلك واستعماله في الأمهات وغيرها، والجرج والخطأ مرتفعان عنهم فيما أطبقوا عليه إن شاء الله.

**فصل:** وأما عدد حروفه وأجزائه فروى سلام أبو محمد الحِماني أن الحجاج بن يوسف جمع القرء والحفاظ والكتّاب، فقال: أخبروني عن القرآن كله كم من حرف هو؟. قال: وكنت فيهم، فحسبنا فأجمعنا على أن القرآن ثلاثمائة ألف حرف وأربعون ألف حرف وسبعمائة حرف وأربعون حرفاً. قال: فأخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن؟ فإذا هو في الكهف ﴿وَلْيَلْطَفْ﴾ [الكهف: ١٩] في الفاء. قال: فأخبروني بثلاثه فإذا الثلث الأول رأس مائة من براءة، والثلث الثاني رأس مائة أو إحدى مائة من «طسم الشعراء»، والثلث الثالث ما بقي من القرآن. قال: فأخبروني بأسباعه على الحروف فإذا أول سبع في النساء ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ﴾ [النساء: ٥٥] في الدال، والسبع الثاني في الأعراف ﴿حَبِطَتْ﴾ في التاء، والسبع الثالث في الراء ﴿أَكَلَهَا دَائِمٌ﴾ [الراء: ٣٥] في الألف من آخر أكلها، والسبع الرابع في الحج ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [الحج: ٣٤] في الألف، والسبع الخامس في الأحزاب ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأحزاب: ٣٦] في الهاء، والسبع السادس في الفتح ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السُّوءِ﴾ [الفتح: ٦] في الواو، والسبع السابع ما بقي من القرآن.

قال سلام أبو محمد: عملناه في أربعة أشهر، وكان الحجاج يقرأ في كل ليلة ربعا، فأول ربه خاتمة الأنعام. والربع الثاني في الكهف ﴿وَلْيَلْطَفْ﴾ [الكهف: ١٩] والربع الثالث خاتمة الزمّر، والربع الرابع ما بقي من القرآن. وفي هذه الجملة خلاف مذكور في كتاب «البيان» لأبي عمرو الداني، من أراد الوقوف عليه وجده هناك.

**فصل:** وأما عدد آي القرآن في المدني الأول، فقال محمد بن عيسى: جميع عدد آي القرآن في المدني الأول ستة آلاف آية. قال أبو عمرو: وهو العدد الذي رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة، ولم يسموا في ذلك أحداً بعينه يستندونه إليه.

وأما المدني الأخير، فهو في قول إسماعيل بن جعفر: ستة آلاف آية ومائتا آية وأربع عشرة آية: وقال الفضل: عدد آي القرآن في قول المكيين ستة آلاف آية ومائتا آية وتسع عشرة آية. قال محمد بن عيسى: وجميع عدد آي القرآن في قول الكوفيين ستة آلاف آية ومائتا آية وثلاثون وست آيات، وهو العدد الذي رواه سليم والكسائي عن حمزة، وأسنده الكسائي إلى علي رضي الله عنه. قال محمد: وجميع عدد آي القرآن في عدد البصريين ستة آلاف ومائتان وأربع آيات، وهو العدد الذي مضى عليه سلفهم حتى الآن. وأما عدد أهل الشام، فقال يحيى بن الحارث الذمّاري: ستة آلاف ومائتان وست وعشرون. في رواية: ستة آلاف ومائتان وخمس وعشرون؛ نقص آية. قال ابن ذكوان: فظنت أن يحيى لم يعد «بسم الله الرحمن الرحيم». قال أبو عمرو: فهذه الأعداد التي يتداولها الناس تأليفاً، ويعدون بها في سائر الآفاق قديماً وحديثاً.

وأما كلماته فقال الفضل بن شاذان: جميع كلمات القرآن في قول عطاء بن يسار سبعة وسبعون ألفاً وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة.

وحروفه: ثلاثمائة ألف وثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً.

قلت: هذا يخالف ما تقدّم عن الحماني قبل هذا. وقال عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: هذا ما أحصينا من القرآن، وهو ثلاثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائة وثمانون حرفاً، وهذا يخالف ما ذكره قبل هذا عن الحماني من عدد حروفه.

### باب ذكر معنى السورة والآية والكلمة والحرف

معنى السورة في كلام العرب: الإبانة لها من سورة أخرى وانفصالها عنها، وسُميت بذلك؛ لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة. قال النابغة:

الم تر أنّ الله أعطاك سورةً ترى كلّ ملكٍ دونها يتدبّب

أي: منزلة شرف ارتفعت إليها عن منزل الملوك. وقيل: سُميت بذلك لشرفها وارتفاعها كما يقال لما ارتفع من الأرض سور. وقيل: سميت بذلك؛ لأن قارئها يشرف على ما لم يكن عنده كسور البناء كله بغير همز. وقيل: سُميت بذلك؛ لأنها قطعت من القرآن على حدة، من قول العرب للبقية: سُور، وجاء في أسرار الناس، أي: بقاياهم فعلى هذا يكون الأصل سُورة بالهمزة ثم خُففت فأبدلت وواوً لانضمام ما قبلها. وقيل: سميت بذلك لتمامها وكمالها من قول العرب للناقاة التامة: سُورة، وجمع سُورة سُور بفتح الواو. وقال الشاعر:

سُودُ المحاجر لا يقرآن بالسُور<sup>(١)</sup>

ويجوز أن يجمع على سُورات وسُورات.

وأما الآية: فهي العلامة، بمعنى أنها علامة لانقطاع الكلام الذي قبلها من الذي بعدها وانفصاله، أي هي بائنة من أختها ومنفردة. وتقول العرب: بيني وبين فلان آية، أي: علامة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٨]. وقال النابغة:

توهمت آيات لها فعرفتُها لسته أعوام وذا العامُ سابعُ

وقيل: سُميت آية؛ لأنها جماعة حروف من القرآن وطائفة منه كما يقال: خرج القوم بأيّاتهم،

أي: بجماعتهم. قال بُرج بن مُسهر الطائي:

خرجنا من النقيين لا حيّ مثلنا بأيّاتنا تُزجي اللقاحَ المطافلا<sup>(٢)</sup>

وقيل: سُميت آية؛ لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها. واختلف النحويون في أصل آية فقال سيويه: آية على فعلة مثل أكمة وشجرة، فلما تحركت الياء وانفتح ما قبلها انقلبت ألفا فصارت آية بهمزة بعدها مدة. وقال الكسائي: أصلها آيية على وزن فاعلة مثل أمنة، فقلت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت لالتباسها بالجمع. وقال الفراء: أصلها آيية بتشديد الياء الأولى فقلت ألفاً كراهة للتشديد، فصارت آية وجمعها آي وآيات وآياء. وأنشد أبو زيد:

(١) وصدور البيت:

هن الحرائر لأرباب أخيرة

(٢) البيت في اللسان (١٤ / ٦٢) والمعنى: خرجنا بجماعتنا، نسوق اللقاح ومفردها (اللقحة) وهي الناقاة ذات اللبن، والمطافيل: النوق معها أولادها.

لم يُبق هذا الدهر من آياته غير أثنائه وأرمدائه<sup>(١)</sup>

وأما الكلمة : فهي الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات، أي : الحروف، وأطول الكلم في كتاب الله عز وجل ما بلغ عشرة أحرف، نحو قوله تعالى : ﴿لَيْسَتْ خَلْفَهُمْ﴾ [النور: ٥٥]. و﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مَكُومًا﴾ [هود: ٢٨] وشبههما ، فأما قوله : ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢] فهو عشرة أحرف في الرسم وأحد عشر في اللفظ. وأقصرهن ما كان على حرفين نحو ما ولا ولك وله، وما أشبه ذلك. ومن حروف المعاني ما هو على كلمة واحدة، مثل همزة الاستفهام وواو العطف، إلا أنه لا ينطق به مفرداً. وقد تكون الكلمة وحدها آية تامة نحو قوله تعالى : ﴿وَالْفَجْرِ﴾. ﴿وَالضُّحَى﴾. ﴿وَالْعَصْرِ﴾. وكذلك ﴿الْم﴾. و﴿الْمَصْر﴾. و﴿طه﴾. و﴿يس﴾. و﴿حم﴾ في قول الكوفيين، وذلك في فواتح السور، فأما في حشوهن فلا. قال أبو عمرو الداني: ولا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله في الرحمن : ﴿مُدْهَامَاتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] لا غير. وقد أتت كلمتان متصلتان وهما آيتان، وذلك في قوله : ﴿حَمَّ﴾ (١) عَسَقٌ على قول الكوفيين لا غير. وقد تكون الكلمة في غير هذا: الآية التامة، والكلام القائم بنفسه، وإن كان أكثر أو أقل، قال الله عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الأعراف: ١٣٧] قيل: إنما يعنى بالكلمة ها هنا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] إلى آخر الآيتين، وقال عز وجل: ﴿وَأَلْزَمَهُم كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦]. قال مجاهد: لا إله إلا الله. وقال النبي ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان جيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»<sup>(٢)</sup>. وقد تسمي العرب القصيدة بأسرها، والقصة كلها، كلمة فيقولون: قال قس<sup>(٣)</sup> في كلمته كذا، أي في خطبته، وقال زهير في كلمته كذا، أي : في قصيدته وقال فلان في كلمته يعني في رسالته فتسمي جملة الكلام كلمة إذ كانت الكلمة منها، على عادتهم في تسميتهم الشيء باسم ما هو منه وما قاربه وجاوره، وكان بسبب منه، مجازاً واتساعاً.

وأما الحرف، فهو الشبهة القائمة وحدها من الكلمة، وقد يسمى الحرف كلمة والكلمة حرفاً على ما بيناه من الاتساع والمجاز. قال أبو عمرو الداني: فإن قيل فكيف يسمى ما جاء من حروف الهجاء في الفواتح على حرف واحد نحو ﴿ص﴾ و ﴿ق﴾ و ﴿ن﴾ حرفاً أو كلمة؟ قلت: كلمة لا حرفاً، وذلك من جهة أن الحرف لا يسكت عليه، ولا ينفرد وحده في الصورة ولا ينفصل مما يختلط به وهذه الحروف مسكوت عليها منفردة منفصلة كانفراد الكلم وانفصالها، فلذلك سميت كلمات لا حروفاً. قال أبو عمرو: وقد يكون الحرف في غير هذا: المذهب والوجه، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١] أي : على وجه ومذهب، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»<sup>(٤)</sup> أي: سبعة أوجه من اللغات، والله أعلم.

(١) في اللسان : الأرمداء : جمع الرماد ، وانظره (٣ / ١٨٥) . والأثافي : الحجارة التي توضع حول النار ليوضع عليها القدر .

(٢) متفق عليه : هو آخر حديث في صحيح البخاري ورقمه (٧٥٦٣) في التوحيد ، ومسلم (٢٦٩٤) في الذكر والدعاء .

(٣) هو قس بن ساعدة الإيادي أحد الحنفاء في الجاهلية هلك قبل الإسلام ، وزهير هو ابن أبي سلمى الشاعر .

(٤) صحيح : وقد سبق .

## باب: هل ورد في القرآن

## كلمات خارجة عن لغات العرب أو لا؟

لا خلاف بين الأئمة أنه ليس في القرآن كلام مركب على أساليب غير العرب، وأن فيه أسماء أعلاماً لمن لسانه غير لسان العرب؛ كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط.

واختلفوا: هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من غير كلام العرب؟ فذهب القاضي أبو بكر بن الطيب والطبري وغيرهما إلى أن ذلك لا يوجد فيه، وأن القرآن عربي صريح، وما وجد فيه من الألفاظ التي تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم، وذهب بعضهم إلى وجودها فيه، وأن تلك الألفاظ لقلتها لا تُخرج القرآن عن كونه عربياً مبيّناً، ولا رسول الله عن كونه متكلماً بلسان قومه. فالشكاة: الكوة. ونشأ: قام من الليل ومنه ﴿إِنْ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ [الزمل: ٦] و﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ [الحديد: ٢٨] أي ضعفين. و﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١] أي الأسد كله بلسان الحبشة. والعساق: البارد المتن بلسان الترك. والقسطاس: الميزان بلغة الروم. والسجيل: الحجارة والطين بلسان الفرس. والطور: الجبل. واليَم: البحر بالسريانية. والتتور: وجه الأرض بالعجمية (١).

قال ابن عطية: فحقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها في الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهي عربية بهذا الوجه. وقد كان للعرب العاربة (٢) التي نزل القرآن بلسانها بعض مخالطة لسائر الألسنة بتجارات، وبرحلتى قريش، وكسفر مسافر بن أبي عمرو إلى الشام، وكسفر عمر بن الخطاب، وكسفر عمرو بن العاص، وعمارة بن الوليد إلى أرض الحبشة، وكسفر الأعشى إلى الحيرة، وصحبته لنصارها مع كونه حجة في اللغة؛ فعلمت العرب بهذا كله ألفاظاً أعجمية غيرت بعضها بالنقص من حروفها، وجرت إلى تخفيف ثقل العجمة، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مجرى العربي الصحيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن، فإن جهلها عربي ما فكجهله الصريح بما في لغة غيره، كما لم يعرف ابن عباس معنى «فاطر» إلى غير ذلك. قال ابن عطية: «وما ذهب إليه الطبري - رحمه الله - من أن اللغتين اتفقتا في لفظة لفظة، فذلك بعيد، بل إحداهما أصل والأخرى فرع في الأكثر؛ لأننا لا ندفع أيضاً جواز الاتفاق قليلاً شاذاً.

قال غيره: والأول أصح. وقوله: هي أصل في كلام غيرهم دخيلة في كلامهم، ليس بأولى من العكس، فإن العرب لا يخلو أن تكون تخاطبت بها أو لا، فإن كان الأول فهي من كلامهم، إذ لا معنى للغتهم وكلامهم إلا ما كان كذلك عندهم، ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم، وقد قال ذلك الإمام الكبير أبو عبيدة.

(١) هذا المبحث ذكره الطبري (١/ ٢١٥) في مقدمة تفسيره.

(٢) هم العرب الخالصة وهم المنحدرة من صلب يعرب بن يشجب بن قطحان وتسمى (الفحطانية) وأما المستعربة فهم

المنحدرة من نسل إسماعيل عليه السلام ويسمون بـ (العدناتية).

وانظر: بلوغ الأرب (١/ ٩)، والمزهر (١/ ٣١)، وروح الذهب (٢/ ١٥١)، وتاريخ العرب القدامى لجواد

العلی (٢/ ٣٣٧) وما بعدها.

فإن قيل: ليست هذه الكلمات على أوزان كلام العرب فلا تكون منه .

قلنا: ومن سلم لكم أنكم حصرتم أوزانهم حتى تخرجوا هذه منها ، فقد بحث القاضي عن أصول أوزان كلام العرب وردّ هذه الأسماء إليها على الطريقة النحوية، وأما إن لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون، وحينئذ لا يكون القرآن عربياً مبيّناً، ولا يكون الرسول مخاطباً لقومه بلسانهم، والله أعلم .

## باب : ذكرت في إعجاز القرآن،

### وشرائط المعجزة وحقيقتها

**المعجزة :** واحدة معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم، وسُمّيت معجزة؛ لأنّ البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها، وشرائطها خمسة، فإن اختلف منها شرط لا تكون معجزة: **فالشرط الأول من شروطها:** أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه، وإنما وجب حصول هذا الشرط للمعجزة لأنه لو أتى آت في زمان يصح فيه مجيء الرسل وأدعى الرسالة وجعل معجزته أن يتحرّك ويسكن ويقوم ويقعد لم يكن هذا الذي ادّعاه معجزة له، ولا دالاً على صدقه لقدرة الخلق على مثله، وإنما يجب أن تكون المعجزات كفلّق البحر، وانشقاق القمر، وما شاكلها مما لا يقدر عليها البشر .

**والشرط الثاني:** هو أن تخرق العادة. وإنما وجب اشتراط ذلك، لأنه لو قال المدّعي للرسالة: آتني مجيء الليل بعد النهار وطلوع الشمس من مشرقها لم يكن فيما ادّعاه معجزة، لأن هذه الأفعال وإن كان لا يقدر عليها إلا الله، فلم تفعل من أجله، وقد كانت قبل دعواه على ما هي عليه في حين دعواه، ودعواه في دلالتها على نبوته كدعوى غيره، فبان أنه لا وجه له يدل على صدقه، والذي يستشهد به الرسول عليه السلام له وجه يدل على صدقه، وذلك أن يقول: الدليل على صدقي: أن يخرق الله تعالى العادة من أجل دعواي عليه الرسالة، فيقلب هذه العصا ثعباناً، ويشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة، أو ينبع الماء من بين أصابعي كما ينبع من العين، أو ما سوى ذلك من الآيات الخارقة للعادات، التي يتفرد بها جبار الأرض والسموات فتقوم له هذه العلامات مقام قول الرب سبحانه، لو أسمعنا كلامه العزيز وقال: صدق، أنا بعثته. ومثال هذه المسألة - ولله ولرسوله المثل الأعلى - ما لو كانت جماعة بحضرة ملك من ملوك الأرض، وقال أحد رجاله وهو بمراءى منه والملك يسمعه: الملك يأمركم أيها الجماعة بكذا وكذا، ودليل ذلك: أن الملك يصدّقني بفعل من أفعاله، وهو أن يخرج خاتمه من يده قاصداً بذلك تصديقي فإذا سمع الملك كلامه لهم ودعواه فيهم، ثم عمل ما استشهد به على صدقه، قام ذلك مقام قوله لو قال: صدق فيما ادّعاه عليّ. فكذلك إذا عمل الله عملاً لا يقدر عليه إلا هو، وخرق به العادة على يد الرسول، قام ذلك الفعل مقام كلامه تعالى لو أسمعناه وقال: صدق عبدي في دعوى الرسالة، وأنا أرسلته إليكم فاسمعوا له وأطيعوا.

**والشرط الثالث:** هو أن يستشهد بها مدّعي الرسالة على الله عزّ وجلّ فيقول: آتني أن يقلب الله سبحانه هذا الماء زيتاً أو يحرك الأرض عند قولي لها: تزلزلي، فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل

المتحدّي به .

**الشرط الرابع:** هو أن تقع على وفق دعوى المتحدّي بها المستشهد بكونها معجزة له، وإنما وجب اشتراط هذا الشرط؛ لأنه لو قال المدّعي للرسالة: آية نبوتي ودليل حجتي أن تنطق يدي أو هذه الدابة فتطقت يده أو الدابة بأن قالت: كذب وليس هو نبي، فإذا هذا الكلام الذي خلقه الله تعالى دال على كذب ذلك المدّعي للرسالة؛ لأن ما فعله الله لم يقع على وفق دعواه. وكذلك ما يروى أن مُسَيِّمَةَ الكذاب لعنه الله تفل في بئر ليكثر ماؤها فغارت البئر وذهب ما كان فيها من الماء، فما فعل الله سبحانه من هذا، كان من الآيات المكذبة لمن ظهرت على يديه؛ لأنها وقعت على خلاف ما أرادته المتنبئ الكذاب.

**والشرط الخامس من شروط المعجزة:** ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدّي على وجه المعارضة، فإن تم الأمر المتحدّي به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط المتقدمة، فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يده، فإن أقام الله تعالى من يعارضه حتى يأتي بمثل ما أتى به ويعمل مثل ما عمل بطل كونه نبياً، وخرج عن كونه معجزاً ولم يدل على صدقه، ولهذا قال المولى سبحانه: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلَهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، وقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]. كأنه يقول: إن ادّعيتم أن هذا القرآن من نظم محمد ﷺ وعمله، فاعملوا عشر سُوَرٍ من جنس نظمه، فإذا عجزتم بأسركم عن ذلك فاعلموا أنه ليس من نظمه ولا من عمله.

لا يقال: إن المعجزات المقيدة بالشروط الخمسة لا تظهر إلا على أيدي الصادقين، وهذا المسيح الدجال فيما روّيته عن نبيكم ﷺ يظهر على يديه من الآيات العظام، والأمر الجسم، ما هو معروف مشهور؛ فإننا نقول: ذلك يدعي الرسالة، وهذا يدعي الربوبية وبينهما من الفرقان ما بين البصراء والعميان، وقد قام الدليل العقلي على أن بعثة بعض الخلق إلى بعض غير ممتعة ولا مستحيلة، فلم يبعد أن يقيم الله تعالى الأدلة على صدق مخلوق أتى عنه بالشرع والملة.

ودلت الأدلة العقلية أيضاً على أنّ المسيح الدجال فيه التصوير والتغيير من حال إلى حال، وثبت أن هذه الصفات لا تليق إلا بالحدثات، تعالى ربّ البريات عن أن يشبه شيئاً أو يشبهه شيء، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير.

**فصل:** إذا ثبت هذا فاعلم أن المعجزات على ضربين: الأوّل: ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبي ﷺ. والثاني: ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله، واستفاضت بثبوته ووجوده، ووقع لسامعها العلم بذلك ضرورة، ومن شرطه: أن يكون الناقلون له خلقاً كثيراً وجمّاً غفيراً، وأن يكونوا عالمين بما نقلوه علماً ضرورياً، وأن يستوي في النقل أولهم وآخرهم ووسطهم في كثرة العدد، حتى يستحيل عليهم التواطؤ على الكذب وهذه صفة نقل القرآن، ونقل وجود النبي عليه الصلاة والسلام، لأن الأمة رضي الله عنها لم تزل تنقل القرآن خلقاً عن سلف والسلف عن سلفه إلى أن يتصل ذلك بالنبي عليه السلام المعلوم وجوده بالضرورة، وصدقه بالأدلة المعجزات، والرسول أخذه عن جبريل عليه السلام عن ربه عز وجل، فنقل القرآن في الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان،

ونقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه، لكثرة العدد، ولذلك وقع لنا العلم الضروري بصدقهم فيما نقلوه من وجود محمد ﷺ، ومن ظهور القرآن على يديه وتحديه به. ونظير ذلك من علم الدنيا علم الإنسان بما نقل إليه من وجود البلدان، كالبحر والشم والعمراق وخراسان والمدينة ومكة، وأشبه ذلك من الأخبار الكثيرة الظاهرة المتواترة، فالقرآن معجزة نبينا ﷺ الباقية بعده إلى يوم القيامة، ومُعجزة كل نبي انقضت بانقراضه، أو دخلها التبديل والتغيير، كالتوراة والإنجيل.

### ووجوه إعجاز القرآن الكريم عشرة:

منها: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه: ﴿وَمَا عَلَّمَنَا الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩]. وفي صحيح مسلم أن أنيساً أخا أبي ذر قال لأبي ذر: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله قلت: فما يقول الناس؟ قال يقولون: شاعر، كاهن، ساحر وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أفراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون. وكذلك أقر عتبة بن ربيعة أنه ليس بسحر ولا شعر لما قرأ عليه رسول الله ﷺ: «حَمَّ، فَصَلَّتْ»، على ما يأتي بيانه هنالك فإذا اعترف عتبة على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة، بأنه ما سمع مثل القرآن قط كان في هذا القول مُقِرّاً بإعجاز القرآن له ولضربائه من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه.

### ومنها: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

ومنها: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، وتأمل ذلك في سورة ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ إلى آخرها، وقوله سبحانه: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبِضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] إلى آخر السورة، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢] إلى آخر السورة. قال ابن الحصار: فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ولا أن يقول: ﴿وَيُرْسِلِ الصَّوَاعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد: ١٣].

قال ابن الحصار: وهذه الثلاثة من النظم، والأسلوب، والجزالة، لازمة كل سورة، بل هي لازمة كل آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر وبها وقع التحدي والتعجيز، ومع هذا فكل سورة تفرد بهذه الثلاثة، من غير أن ينضاف إليها أمر آخر من الوجوه العشرة، فهذه سورة «الكوثر» ثلاث آيات قصار، وهي أقصر سورة في القرآن، وقد تضمنت الإخبار عن مغيبين: أحدهما: الإخبار عن الكوثر وعظمته وسعته وكثرة أوانيه، وذلك يدل على أن المصدقين به أكثر من أتباع سائر الرسل. والثاني: الإخبار عن الوليد بن المغيرة، وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد، على ما يقتضيه قوله الحق: ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وحيداً ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ﴿١٢﴾

وَبَيْنَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿ [المدر: ١١ - ١٤] ثم أهلك الله - سبحانه - ماله وولده وانقطع نسله .  
ومنها: التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي، حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه .

ومنها: الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، والقرون الخالية في دهرها وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه، وتحذره به من قصة أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين، فجاءهم - وهو أمي من أمة أمية، ليس لها بذلك علم - بما عرفوا من الكتب السالفة صحته فتحققوا صدقه .

قال القاضي ابن الطيب: ونحن نعلم ضرورة: أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم وإذا كان معروفًا أنه لم يكن ملابسًا لأهل الآثار، وحملة الأخبار، ولا مترددًا إلى المتعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه علم أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي .

ومنها: الوفاء بالوعد، المدرك بالחס في العيان، في كل ما وعد الله سبحانه، وينقسم إلى: أخباره المطلقة، كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه . وإلى وعد مقيد بشرط، كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، و﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الأنفال: ٦٥]، وشبه ذلك .

ومنها: الإخبار عن المغيبيات في المستقبل التي لا يطلع عليها إلا بالوحي، فمن ذلك: ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٣٣] . ففعل ذلك . وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزى جيوشه عرفهم ما وعدهم الله في إظهار دينه، ليثقوا بالنصر، وليستيقنوا بالنجح، وكان عمر يفعل ذلك، فلم يزل الفتح يتوالى شرقًا وغربًا، برًا وبحرًا، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥] وقال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧] وقال: ﴿إِنَّمَا﴾ [١] غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ [الروم: ١ - ٢] . فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين، أو من أوقفه عليها رب العالمين، فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقه .

ومنها: ما تضمنته القرآن من العلم الذي هو قوام جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام .

ومنها: الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدمي .

ومنها: التناسب في جميع ما تضمنته ظاهراً وباطناً من غير اختلاف، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] .

قلت: فهذه عشرة أوجه ذكرها علماؤنا - رحمة الله عليهم - ووجه حادي عشر قاله النّظام وبعض القدرية: أن وجه الإعجاز هو المنع من معارضته، والصّرفة عند التحديّ بمثله<sup>(١)</sup>. وأن المنع والصّرفة هو المعجزة دون ذات القرآن، وذلك أن الله تعالى صرف همهم عن معارضته مع تحدّيهم بأن يأتوا بسورة من مثله. وهذا فاسد؛ لأن إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز، فلو قلنا إن المنع والصّرفة هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً، وذلك خلاف الإجماع، وإذا كان كذلك علم أن نفس القرآن هو المعجز؛ لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة، إذ لم يوجد قطّ كلام على هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوقاً معتاداً منهم، دلّ على أن المنع والصّرفة لم يكن معجزاً. واختلف من قال بهذه الصّرفة على قولين: أحدهما: أنهم صرّفوا عن القدرة عليه ولو تعرّضوا له لعجزوا عنه. الثاني: أنهم صرّفوا عن التعرّض له مع كونه في مقدورهم ولو تعرّضوا له لجاز أن يقدروا عليه.

قال ابن عطية: وجه التحديّ في القرآن إنما هو بنظمه وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه. ووجه إعجازه: أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كله علماً، فلم يعلم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبيّن المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أوّل القرآن إلى آخره، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن بشرّاً لم يكن محيطاً قطّ، فبهذا جاء نظم القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة. وبهذا النظر يبطل قول من قال: إن العرب كان في قدرتها أن تأتي بمثل القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، فلما جاء محمد ﷺ صرّفوا عن ذلك، وعجزوا عنه. والصحيح: أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قطّ في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولاً كاملاً، ثم تعطى لآخر بعده فيأخذها بقريحة جامّة فيبدّل فيها وينقح، ثم لا تزال بعد ذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله تعالى لو نزعته منه لفظة، ثم أدير لسان العرب أن يوجد أحسن منها لم يوجد. ومن فصاحة القرآن: أن الله تعالى جلّ ذكره، ذكر في آية واحدة أمرين، ونهين، وخبرين،

(١) هذه دعوى قديمة قال بها نسل من ملاحدة المعتزلة - قبهم الله - وهو إبراهيم النّظام (ت ٢٣١هـ) حيث حكى عنه الأشعري (١/ ٢٢٥) في مقالات الإسلاميين أنه قال: «والاعجوبة في القرآن ما فيه من الأخبار عن الغيوب، فأما التاليف والنظم، فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن منعهم بمشع وعجز أحدثهما فيهم.. فلو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بمثله بلاغة وفصاحة ونظماً!! انتهى .

قلت: وكذا قال الجعد بن درهم الملحد الذي ضحى به خالد القسرى (١١٨هـ) كما في الكامل (٥/ ١٦٠) لابن الأثير .

وللرد على هذه الفرية انظر ما يقوله القرطبي هنا، ثم نورد قول الخطابي أبي سليمان المتوفي (٣٨٨هـ) حين قال: «وقد بقى النبي ﷺ يطالب العرب قاطبة بمثل القرآن مدة إحدى عشرة سنة مظهراً لهم التكبر، زاوياً أديانهم، مسفهاً آراءهم وأحلامهم، حتى نابذوه وناصبوه الحرب، فهلكت فيه النفوس، وأريق المهج، وقطعت الأرحام وذهبت الأموال فلو كان الإتيان بمثل القرآن في وسعهم وتحّت أقدارهم لم يتكلسفوا هذه الأمور الخطيرة وقد كان فيهم الخطباء المصاقع والشعراء الملقنون، وقد وصفهم الله - تعالى - بالجدل واللد فقال سبحانه: ﴿مَا صَرَّبُوهُ لَكَ إِجْدَالًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَتَنْذِرُ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾

وبشارتين، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وكذلك فاتحة سورة المائدة: أمر بالوفاء ونهي عن النكث، وحلل تحليلاً عاماً، ثم استثنى استثناء بعد استثناء، ثم أخبر عن حكمته وقدرته، وذلك مما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، وأنبأ سبحانه عن الموت، وحسرة الفوت، والدار الآخرة وثوابها وعقابها، وفوز الفائزين، وتردي المجرمين، والتحذير من الاغترار بالدنيا، ووصفها بالقلّة بالإضافة إلى دار البقاء بقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وأنبأ أيضاً عن قصص الأوّلين والآخريين ومآل المترفين، وعواقب المهلكين، في شطر آية وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتُهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠]. وأنبأ جلّ وعزّ عن أمر السفينة وإجرائها وإهلاك الكفرة، واستقرار السفينة واستوائها، وتوجيه أوامر التسخير إلى الأرض والسماء بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١] إلى قوله: ﴿وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] إلى غير ذلك. فلما عجزت قريش عن الإتيان بمثله وقالت: إن النبي ﷺ يقول: أنزل الله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُهُ بَلْ لَأَيُّمُونُ (٣٢) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٣، ٣٤] ثم أنزل تعجيزاً أبلغ من ذلك فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْرَأْهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود: ١٣] فلما عجزوا حطّهم عن هذا المقدار، إلى مثل سورة من السور القصار فقال جلّ ذكره: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣] فأفحموا عن الجواب، وتقطّعت بهم الأسباب، وعدلوا إلى الحروب والعدا، وآثروا سبي الحرّيم والأولاد ولو قدروا على المعارضة لكان أهونَ كثيراً، وأبلغ في الحجّة وأشدّ تأثيراً. هذا مع كونهم أرباب البلاغة واللحن، وعندهم تؤخذ الفصاحة واللحن.

فبلاغة القرآن في أعلى طبقات الإحسان، وأرفع درجات الإيجاز والبيان، بل تجاوزت حدّ الإحسان والإجادة إلى حيز الإرباب والزيادة. هذا رسول الله ﷺ مع ما أوتي من جوامع الكلم، واختص به من غرائب الحكم، إذا تأملت قوله ﷺ في صفة الجنان، وإن كان في نهاية الإحسان، وجدته منحطاً عن رتبة القرآن وذلك في قوله عليه السلام: «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»<sup>(١)</sup> فإين ذلك من قوله عزّ وجلّ: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]. وقوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. هذا أعدل وزنا، وأحسن تركيباً، وأعذب لفظاً، وأقل حروفاً على أنه لا يعتبر إلا في مقدار سورة أو أطول آية، لأن الكلام كلما طال اتسع فيه مجال التصرف، وضاق المقال على القاصر المتكلف وبهذا قامت الحجّة على العرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة، ومظنة المعارضة، كما قامت الحجّة في معجزة عيسى عليه السلام على الأطباء، ومعجزة موسى عليه السلام على السحرة، فإن الله سبحانه إنما جعل معجزات الأنبياء عليهم السلام بالوجه الشهير أبرع ما يكون في زمان النبي الذي أراد إظهاره، فكان السحر في زمان موسى عليه السلام قد انتهى إلى غايته، وكذلك الطبّ في زمن عيسى عليه السلام، والفصاحة في زمن محمد ﷺ.

(١) صحيح : مسلم (٢٨٢٥) في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه .

## باب التنبيه على أحاديث

### وضعت في فضل سُور القرآن وغيره (١)

لا التفات لما وضعه الواضعون، واختلقه المختلقون، من الأحاديث الكاذبة، والأخبار الباطلة، في فضل سُور القرآن، وغير ذلك من فضائل الأعمال قد ارتكبتها جماعة كثيرة، اختلفت أغراضهم ومقاصدهم في ارتكابها، فمن قوم من الزنادقة مثل: المغيرة بن سعيد الكوفي، ومحمد بن سعيد الشامي المصلوب في الزندقة، وغيرهما، وضعوا أحاديث وحدثوا بها ليقعوا بذلك الشك في قلوب الناس فمما رواه محمد بن سعيد عن أنس بن مالك في قوله ﷺ:

«أنا خاتم الأنبياء لا نبي بعدي إلا ما شاء الله» (٢)، فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو إليه من الإلحاد والزندقة.

(١) قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله : « الموضوع : هو الحديث المكذوب على النبي ﷺ يعني : هو الذي اصطنعه بعض الناس ونسبه إلى النبي ﷺ فإننا نسميه موضوعاً في الاصطلاح . وكلمة ( موضوع ) هل تعنى أن العلماء وضعوه ولم يلقوا له بالاً ؟ أم أن رايه وضعه على النبي ﷺ ؟  
نقول : هو في الحقيقة يشملهما معاً ، فالعلماء وضعوه ولم يلقوا له أي بال ، وهو موضوع ، أي : وضعه رايه على النبي ﷺ انتهى . شرح في المنظومة البيقونية ص ١٣١ . وانظر : النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر ( ٢ / ٨٣٨ ) .

قلت : وفي تنزيه الشريعة لابن عراق ( ص ١٤٠ ) أن الرضاعين أصناف :

- الزندقة وضعت الحديث بغرض إفساد الدين .
- أصحاب الأهواء والبدع لعزة مذهبهم .
- قوم اتخذوا الوضع صناعة وتشويقاً براءة على الله ورسوله .
- قوم ينسبون للزهد ، وضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب جهلاً منهم
- أصحاب الأغراض الدنيوية كالكصاصين والشحاذين .
- قوم حملهم الشر وحب الظهور على الوضع ، فجعل بعضهم لذي الإسناد الضعيف إسناداً صحيحاً .
- قوم يقع الموضوع في حديثهم ولم يعتمدوا الوضع .
- وقال أيضاً : للحديث الموضوع أمارات يعرف بها ومنها :
- إقرار الرضاع بوضعه كحديث فضائل القرآن هنا .
- ما ينزل منزلة الإقرار كأن يعيد المتفرد بالحديث تاريخ مولده أو سماعه بما لا يمكن معه الأخذ عن شيخه أو أنه سمع في مكان تعليم أن الشيخ لم يدخله :
- أن يصرح بتكذيب رايه جمع كثير ، يتمتع في العادة تواطؤهم على الكذب .
- قرينة الحال للراوي كقصة غياث بن إبراهيم التي سيذكرها المصنف هنا .
- قرينة في المروي كمخالفته للعقل - للتاريخ - للكتاب - للسنة المتواترة .
- ركافة اللفظ .

- الوعيد الشديد على أمر صغير ، أو الوعد العظيم على فعل حقير .

- كون الراوي رافضياً والحديث في فضائل آل البيت .

والأخيرتان زادهما السيوطي ( ١ / ٢٧٦ ) في تدريب الراوي .

(٢) ميزان الاعتدال ( ٣ / ٥٦٢ )، وتدريب الراوي ( ١ / ٢٨٤ ) وهو من وضع الزنادقة ليجيزوا النبوة بعد انقطاعها كما قال السيوطي .

قلبت: وقد ذكره ابن عبد البر في كتاب «التمهيد» ولم يتكلم عليه بل تأوّل الاستثناء على الرؤيا فإله أعلم.

ومنهم قوم وضعوا الحديث لهوى يدعو الناس إليه . قال شيخ من شيوخ الخوارج بعد أن تاب: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإننا كنا إذا هويتنا أمراً صيرناه حديثاً. ومنهم جماعة وضعوا الحديث حسبة<sup>(١)</sup> كما زعموا، يدعون الناس إلى فضائل الأعمال، كما روي عن أبي عصبة نوح بن أبي مريم المرؤزي، ومحمد بن عكاشة الكرمانى، وأحمد بن عبد الله الجوبيارى، وغيرهم. قيل لأبي عصبة: من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضل سور القرآن سورة سورة؟ فقال: إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي محمد بن إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة. قال أبو عمرو عثمان بن الصلاح في كتاب «علوم الحديث» له: وهكذا الحديث الطويل الذي يروى عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في فضل القرآن سورة سورة وقد بحث باحث عن مخرجه حتى انتهى إلى من اعترف بأنه وجماعة وضعوه، وإن أثر الوضع عليه ليّن. وقد أخطأ الواحدى المفسر ومن ذكره من المفسرين في إيداعه تفاسيرهم.

ومنهم قوم من السؤال والمكذّبين يقفون في الأسواق والمساجد، فيضعون على رسول الله ﷺ أحاديث بأسانيد صحاح قد حفظوها، فيذكرون الموضوعات بتلك الأسانيد قال جعفر بن محمد الطيالسي: صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين في مسجد الرصافة، فقام بين أيديهما قاص فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالوا أنبأنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله يُخلق من كل كلمة منها طائر مثقاره من ذهب وريشه مرجان»<sup>(٢)</sup>. وأخذ في قصة نحواً من عشرين ورقة؛ فجعل أحمد ينظر إلى يحيى، ويحيى ينظر إلى أحمد فقال: أنت حدثته بهذا؟ فقال: والله ما سمعت به إلا هذه الساعة. قال: فسكتا جميعاً حتى فرغ من قصصه، فقال له يحيى: من حدثك بهذا الحديث؟ فقال: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، فقال: أنا ابن معين، وهذا أحمد بن حنبل، ما سمعنا بهذا قط في حديث رسول الله ﷺ، فإن كان ولا بدّ من الكذب فعلى غيرنا، فقال له: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق، وما علمته إلا هذه الساعة، فقال له يحيى: وكيف علمت أني أحمق؟ قال: كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا. قال: فوضع أحمد كفه على وجهه وقال: دعه يقوم فقام كالمستهزئ بهما. فهؤلاء الطوائف كذّبة على رسول الله ﷺ، ومن يجري مجراهم. يُذكر أن الرشيد كان يعجبه الحمام واللّهو به فأهدى إليه حمام وعنده أبو البختري القاضي فقال: روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا سبق إلا في

(١) انظر: الموضوعات (١/ ٢٤١) لابن الجوزي، والكفاية (٤٠١) للخطيب، وفتح المغيث بشرح الفية الحديث

(ص ١٢٥) للعراقي

(٢) انظر: مقدمة ابن الصلاح (٢٧٩)، وتحذير الخواص من أكاذيب القصاص (ص ٢٧٢) للسيوطي - تحقيق -

د. محمد لطفى الصباغ .

خُفَّ أو حافر أو جَنَاح<sup>(١)</sup> فزاد: أو جناح، وهي لفظة وضعها للرشيد، فأعطاه جائزة سَنِيَّة فلما خرج قال الرشيد: والله لقد علمت أنه كذاب، وأمر بالحمام أن يذبح، فقبل له: وما ذنب الحمام؟ قال: من أجله كُذِّبَ على رسول الله ﷺ، فترك العلماء حديثه لذلك، ولغيره من موضوعاته، فلا يكتب العلماء حديثه بحال.

قلت: لو اقتصر الناس على ما ثبت في الصحاح والمسانيد وغيرهما من المصنفات التي تداولها العلماء، ورواها الأئمة الفقهاء؛ لكان لهم في ذلك غُنْيَةٌ، وخرجوا عن تحذيره ﷺ حيث قال: «اتقوا الحديث عتيّ إلا ما علمتم فمن كذب عليّ متعمداً؛ فليتبوا مقعده من النار»<sup>(٢)</sup> الحديث. فتحذيره ﷺ أمته بالنار على الكذب، دليل على أنه كان يعلم أنه سيكذب عليه. فحذارٍ مما وضعه أعداء الدين، وزنادقة المسلمين، في باب الترغيب والترهيب وغير ذلك، وأعظمهم ضرراً أقوام من المنسويين إلى الزهد، وضعوا الحديث حِسبة فيما زعموا، فتقبل الناس موضوعاتهم، ثقة منهم بهم، وركونا إليهم، فضلوا وأضلوا.

### باب: ما جاء من الحجة في الرد على من طعن في القرآن

#### وخالف مصحف عثمان بالزيادة والنقصان

لا خلاف بين الأمة ولا بين الأئمة أهل السنة: أن القرآن اسم لكلام الله تعالى الذي جاء به محمد ﷺ معجزة له - على نحو ما تقدم - وأنه محفوظ في الصدور، مقروءً بالألسنة، مكتوبٌ في المصاحف، معلومة على الاضطرار سورة وآياته، مُبرأة من الزيادة والنقصان حروفه وكلماته، فلا يحتاج في تعريفه بحدّ، ولا في حصره بعد. فمن ادعى زيادة عليه أو نقصاناً منه، فقد أبطل الإجماع، وبهت الناس، وردّ ما جاء به الرسول ﷺ من القرآن المنزل عليه، وردّ قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وأبطل آية رسوله عليه السلام؛ لأنه إذ ذاك يصير القرآن مقدوراً عليه، حين شيب بالباطل، ولمّا قدر عليه لم يكن حجة ولا آية، وخرج عن أن يكون معجزاً.

فالقائل بأن القرآن فيه زيادة ونقصان رادّ لكتاب الله ولمّا جاء به الرسول، وكان كمن قال: الصلوات المفروضة خمسون صلاة، وتزوجُ تسع من النساء حلال، وفرض الله أياماً مع شهر رمضان، إلى غير ذلك مما لم يثبت في الدين، فإذا ردّ هذا بالإجماع؛ كان الإجماع على القرآن أثبت وأكد والنزم وأوجب.

قال الإمام أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الأنباري: ولم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون من شرف القرآن وعلوّ منزلته، ما يوجب الحق والإنصاف والديانة، وينفون عنه قول المبطلين،

(١) الباحث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للشيخ أحمد شاكر (ص ٧١).

(٢) ضعيف: أحمد (١/ ٢٩٣) في المسند، والترمذي (٢٩٥١) في تفسير القرآن، وضعفه الألباني (١٧٨٣) في

الضعيفة (٢٣٥) في المشكاة.

قلت: ولكن توافق عنه ﷺ قوله: «من كذب عليّ متعمداً؛ فليتبوا مقعده من النار».

وتحميه للملحدين ، وتحريف الزائغين ، حتى نبع في زماننا هذا زائغ زاغ عن الملة ، وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة التي لا يزال الله يؤيدها ، ويثبت أسسها وينمي فرعها ، ويحرسها من معاب أولي الجَنَفِ والجَوْرِ ، ومكاييد أهل العداوة والكفر .

فرغم أن المصحف الذي جمعه عثمان رضي الله عنه - باتفاق أصحاب رسول الله ﷺ على تصويبه فيما فعل - لا يشتمل على جميع القرآن ، إذ كان قد سقط منه خمسمائة حرف ، قد قرأت ببعضها وسأقراً ببقيتها ، فمنها : « والعصر ونواب الدهر » فقد سقط من القرآن على جماعة المسلمين « ونواب الدهر » . ومنها : « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأزانت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها » . فادعى هذا الإنسان أنه سقط على أهل الإسلام من القرآن : « وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها » ، وذكر مما يدعي حروفاً كثيرة .

وآدعى أن عثمان والصحابة رضي الله عنهم زادوا في القرآن ما ليس فيه ، فقرأ في صلاة الفرض والناس يسمعون : « الله الواحد الصمد » ، فأسقط من القرآن « قل هو » ، وغير لفظ « أحد » ، وآدعى أن هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل والمحال ، وقرأ في صلاة الفرض : « قل للذين كفروا لا أعبد ما تعبدون » وطعن في قراءة المسلمين .

وآدعى أن المصحف الذي في أيدينا اشتمل على تصحيف حروف مفسدة مغيّرة ، منها : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [المائدة : ١١٨] فآدعى أن الحكمة والعزة لا يشاكلان المغفرة ، وأن الصواب : « وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم » . وترامى به الغي في هذا وأشكاله حتى آدعى أن المسلمين يصحّون : ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴾ [الاحزاب : ٦٩] والصواب الذي لم يغيّر عنده : « وكان عبداً لله وجيهاً » ، وحتى قرأ في صلاة مفترضة على ما أخبرنا جماعة سمعوه وشهدوه : « لا تحرك به لسانك إن علينا جمعه وقراءته فإذا قرأناه فاتبع قراءته ثم إن علينا نبأ به » . وحكى لنا آخرون عن آخريين أنهم سمعوه يقرأ : « ولقد نصرمك الله بيدرسيف عليّ وأنتم أذلة » . وروى هؤلاء أيضاً لنا عنه قال : « هذا صراط عليّ مستقيم » . وأخبرونا أنه أدخل في آية من القرآن ما لا يضاهاي فصاحة رسول الله ﷺ ، ولا يدخل في لسان قومه الذين قال الله عز وجل فيهم : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [إبراهيم : ٤] فقرأ : أليس قلت للناس في موضع : ﴿ أَلَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ﴾ [المائدة : ١١٦] وهذا لا يعرف في نحو المعريين ، ولا يحمل على مذاهب النحويين ؛ لأن العرب لم تقل : ليس قمت ، فأما : لست قمت - بالفاء - فشاذاً قبيح خبيث رديء ؛ لأن ليس لا تجحد الفعل الماضي ، ولم يجد مثل هذا إلا في قولهم : أليس قد خلق الله مثلهم وهو لغة شاذة لا يحمل كتاب الله عليها . وادعى أن عثمان رضي الله عنه لما أسند جمع القرآن إلى زيد بن ثابت لم يُصب ؛ لأن عبد الله ابن مسعود وأبى بن كعب كانا أولى بذلك من زيد لقول النبي ﷺ : « اقرأ أمّتي أبي بن كعب » (١) ، ولقوله عليه السلام : « مَنْ سَرَّهَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ فَلْيَقْرَأْهُ بِقِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ » (٢) . وقال هذا القائل : لي أن أخالف مصحف عثمان كما خالفه أبو عمرو بن العلاء ، فقرأ : « إن هذين » ، فأصدق

«وَأَكُونَ»، «وَبَشَرَ عِبَادِي الَّذِينَ» بفتح الياء، «فَمَا أَتَانِي اللَّهُ» بفتح الياء. والذي في المصحف: «إِنْ هَذَا» [طه: ٦٣] الألف، ﴿فَأَصْدُقُ وَأَكُنْ﴾ [المنافقون: ١٠] بغير واو، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ [الزمر: ١٧]، ﴿فَمَا أَتَانِي اللَّهُ﴾ [النمل: ٣٦] بغير ياءين في الموضعين. وكما خالف ابن كثير ونافع وحمرزة والكسائي مصحف عثمان فقرأوا: «كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ» بإثبات نونين، يفتح الثانية بعضهم ويسكنها بعضهم، وفي المصحف نون واحدة وكما خالف حمزة المصحف فقرأ: «أَتَمُدُّونَ بِمَالِ» بنون واحدة ووقف على الياء، وفي المصحف نونان ولا ياء بعدهما، وكما خالف حمزة أيضاً المصحف فقرأ: «أَلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ» بغير تنوين، وإثبات الألف يوجب التنوين وكل هذا الذي شنع به على القراء ما يلزمهم به خلاف للمصحف.

قلت: قد أشرنا إلى العدّ فيما تقدّم مما اختلفت فيه المصاحف، وسيأتي بيان هذه المواضع في مواضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

قال أبو بكر: وذكر هذا الإنسان أن أبي بن كعب هو الذي قرأ: «كَانَ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُهْلِكَهَا إِلَّا بِذُنُوبِ أَهْلِهَا» وذلك باطل؛ لأن عبد الله بن كثير قرأ على مجاهد، ومجاهد قرأ على ابن عباس، وابن عباس قرأ القرآن على أبي بن كعب «حَصِيدًا كَأَنَّ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ» [يونس: ٢٤]، في رواية قرأ أبي القرآن على رسول الله ﷺ وهذا الإسناد متصل بالرسول عليه السلام نقله أهل العدالة والصيانة، وإذا صح عن رسول الله ﷺ أمر لم يؤخذ بحديث يخالفه. وقال يحيى ابن المبارك اليزيدي: قرأت القرآن على أبي عمرو بن العلاء، وقرأ أبو عمرو على مجاهد، وقرأ مجاهد على ابن عباس، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب، وقرأ أبي النبي ﷺ، وليس فيها «وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها»، فمن جحد أن هذه الزيادة أنزلها الله تعالى على نبيه عليه السلام فليس بكافر ولا آثم.

حدثني أبي نبأنا نصر بن داود الصاغاني، نبأنا أبو عبيد قال: ما يروى من الحروف التي تخالف المصحف الذي عليه الإجماع من الحروف التي يعرف أسانيدُها الخاصةُ دون العامة فيما نقلوا فيه عن أبي: «وما كان الله ليهلكها إلا بذنوب أهلها»، وعن ابن عباس: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج». وما يحكون عن عمر بن الخطاب أنه قرأ: «غير المغضوب عليهم وغير الضالين»<sup>(١)</sup> مع نظائر لهذه الحروف كثيرة، لم ينقلها أهل العلم على أن الصلاة بها محل، ولا على أنها معارضٌ بها مصحف عثمان؛ لأنها حروف لو جحدتها جاحد أنها من القرآن لم يكن كافراً والقرآن الذي جمعه عثمان بموافقة الصحابة له لو أنكسر بعضه منكر كان كافراً، حكمه حكم المرتد يُستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه. وقال أبو عبيد: لم يزل صتيع عثمان رضي الله عنه في جمعه

(١) القراءات المأثورة عن بعض الصحابة رضي الله عنهم - تفسر على النحو التالي:

- إما أنها قراءة صحيحة متواترة من السبع أو العشر.
- أو هي قراءة شاذة، فإذا صح الإسناد إليه تحمّل على أنها قراءة تفسيرية.
- أو هي قراءة للصحابي بلهجه الخاصة (الهديلية) لابن مسعود رضي الله عنهما.
- وانظر: تاريخ القرآن (ص ١٦٢) للدكتور عبد الصبور شاهين.
- وقول الدكتور مصطفى زيد (٢/ ٦٩٨) في النسخ في القرآن.
- والدكتور محمد بلتاجي - عميد دار العلوم الأسبق رحمه الله - في كتابه دراسات في التفسير.

القرآن يُعْتَدَلُهُ بأنه من مناقبه العظام ، وقد طعن عليه فيه بعض أهل الزَيْغِ فانكشف عواره، ووضحت فضائحه. قال أبو عبيد: وقد حَدَّثَتْ عن يزيد بن زُرَيْع عن عمران بن جرير عن أبي مجلز قال: طعن قوم على عثمان رحمه الله - بِحُمُقِهِمْ - جمع القرآن، ثم قرؤوا بما نُسخ. قال أبو عبيد: يذهب أبو مجلز إلى أن عثمان أسقط الذي أسقط بعلم كما أثبت الذي أثبت بعلم. قال أبو بكر: وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] دلالة على كفر هذا الإنسان؛ لأن الله عز وجل قد حفظ القرآن من التغيير والتبديل، والزيادة والنقصان فإذا قرأ قارئ: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَمُرِيَّتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ لَيْفٍ» فقد كَذَّبَ على الله جلَّ وعلا وَقَوْلُهُ ما لم يقل، وبدل كتابه وحرّفه، وحاول ما قد حفظه منه ومنع من اختلاطه به وفي هذا الذي أتاه توطئة الطريق لأهل الإلحاد، ليدخلوا في القرآن ما يحلّون به عُرَا الإسلام، وينسبونه إلى قوم كهؤلاء القوم الذين أحالوا هذا بالباطيل عليهم. وفيه إبطال الإجماع الذي به يحرس الإسلام، وبشباته تقام الصلوات، وتؤدّى الزكوات وتتحرى المتعبّدات. وفي قوله تعالى: ﴿الرَّكَّابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ﴾ [هود: ١] دلالة على بدعة هذا الإنسان وخروجه إلى الكفر؛ لأن معنى ﴿أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ﴾: منع الخلق من القدرة على أن يزيدوا فيها، أو ينقصوا منها أو يعارضوها بمثلا، وقد وجدنا هذا الإنسان زاد فيها: «وكفى الله المؤمنين القتال بعليّ وكان الله قويا عزيزا». فقال في القرآن هجرا. وذكر عليّا في مكان لو سمعه يذكره فيه لامضى عليه الحد، وحكم عليه بالقتل. وأسقط من كلام الله «قل هو» وغير «أحد» فقرا: الله الواحد الصمد. وإسقاط ما أسقطه نفي له وكفر. ومن كفر بحرف من القرآن فقد كفر به كله وأبطل معنى الآية؛ لأن أهل التفسير قالوا: نزلت الآية جوابا لأهل الشرك لما قالوا لرسول الله ﷺ: صَفِّ لَنَا رَبِّكَ، أمن ذهب أم من نحاس أم من صفر؟ فقال الله جلَّ وعزَّ رداً عليهم: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ، ففي «هو» دلالة على موضع الردّ ومكان الجواب فإذا سقط بطل معنى الآية، ووضح الافتراء على الله عز وجل، والتكذيب لرسول الله ﷺ.

ويقال لهذا الإنسان ومن يتحل نصرته: أخبرونا عن القرآن الذي نقرؤه ولا نعرف نحن ولا من كان قبلنا من أسلافنا سواء هل هو مشتمل على جميع القرآن من أوله إلى آخره، صحيح الالفاظ والمعاني عار عن الفساد والخلل؟ أم هو واقع على بعض القرآن والبعض الآخر غائب عنا كما غاب عن أسلافنا والمتقدمين من أهل ملتنا؟ فإن أجابوا بأن القرآن الذي معنا مشتمل على جميع القرآن لا يسقط منه شيء، صحيح اللفظ والمعاني، سليمها من كل زلل وخلل، فقد قضوا على أنفسهم بالكفر حين زادوا فيه «فليس له اليوم هاهنا حميم وليس له شراب إلا من غسلين من عين تجري من تحت الجحيم» فأي زيادة في القرآن أوضح من هذه! وكيف تخلط بالقرآن وقد حرسه الله منها ومنع كل مُفْتَرٍ ومبطل من أن يلحق به مثلها؟! وإذا توملت ويبحث عن معناها وجدت فاسدة غير صحيحة، لا تشاكل كلام البارئ تعالى ولا تختلط به، ولا توافق معناه، وذلك أن بعدها ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٧] فكيف يؤكل الشراب، والذي أتى به قبلها: «فليس له اليوم هاهنا حميم وليس له شراب إلا من غسلين من عين تجري من تحت الجحيم لا يأكله إلا الخاطئون». فهذا متناقض يفسد بعضه بعضا، لأن الشراب لا يؤكل، ولا تقول العرب: أكلت الماء لكنهم يقولون: شربته وذقته وطعمته ومعناه فيما أنزل الله تبارك وتعالى على الصحة في القرآن الذي من خالف حرّقا منه كفر. ﴿وَلَا طَعَامٌ

﴿لَا مِنْ غَسْلِينَ﴾ [الحاقة: ٣٦] لا يأكل الغسلين إلا الخاطئون أو لا يأكل الطعام إلا الخاطئون. والغسلين: ما يخرج من أجوافهم من الشحم وما يتعلق به من الصديد وغيره، فهذا طعام يؤكل عند البلية والنقمة، والشراب محال أن يؤكل. فإن ادعى هذا الإنسان أن هذا الباطل الذي زاده من قوله «من عين تجري من تحت الجحيم» ليس بعدها ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ [الحاقة: ٣٧] ونفي هذه الآية من القرآن لتصح له زيادته، فقد كفر لما جحد آية من القرآن. وحسبك بهذا كله رداً لقوله، وخزياً لمقاله، وما يؤثر عن الصحابة والتابعين أنهم قرؤوا بكذا وكذا وإنما ذلك على جهة البيان والتفسير، لا أن ذلك قرآن يتلى، وكذلك ما نُسخ لفظه وحكمه أو لفظه دون حكمه ليس بقرآن على ما يأتي بيانه عند قوله تعالى: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ﴾ [البقرة: ١٠٦] إن شاء الله تعالى.

### القول في الاستعاذة

وفيها اثنا عشرة مسألة:

الأولى: أمر الله تعالى بالاستعاذة عند أول كل قراءة فقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. أي: إذا أردت أن تقرأ؛ فأوقع الماضي موقع المستقبل كما قال الشاعر:

واني لأتيكم لذكرى الذي مضى من الودِّ واستئناف ما كان في غدٍ

أراد ما يكون في غد؛ وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، وأن كل فعلين تقارباً في المعنى جاز تقديم أيهما شئت؛ كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ [النجم: ٨]. المعنى: فتدلى ثم دنا؛ ومثله ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وهو كثير.

الثانية: هذا الأمر على الندب في قول الجمهور في كل قراءة في غير الصلاة. واختلفوا فيه في الصلاة. حكى النقاش عن عطاء: أن الاستعاذة واجبة. وكان ابن سيرين والنخعي وقوم يتعوذون في الصلاة كل ركعة، ويمثلون أمر الله في الاستعاذة على العموم، وأبو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الأولى من الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها قراءة واحدة؛ ومالك لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان.

الثالثة: أجمع العلماء على أن التعوذ ليس من القرآن ولا آية منه، وهو قول القارئ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وهذا اللفظ هو الذي عليه الجمهور من العلماء في التعوذ؛ لأنه لفظ كتاب الله تعالى. وروي<sup>(١)</sup> عن ابن مسعود أنه قال: قلت: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم؛ فقال لي النبي ﷺ: «يا بن أم عبد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، هكذا أقرأني جبريل عن اللوح المحفوظ عن القلم».

الرابعة: روى أبو داود وابن ماجه في سننهما عن جبير بن مطعم أنه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة فقال عمرو: لا أدري أي صلاة هي؟ فقال: «الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً - ثلاثاً - الحمد لله

(١) تسمى هذه الصيغة: صيغة (التمريض)، وبها يضعف الحديث.

كثيراً الحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان من نَفْخه ونَفْثه وهَمَزُه<sup>(١)</sup>. قال عمرو: هَمَزُه، المُوْتَةُ، ونَفْثُه الشَّعْر، ونَفْخُه الكَبِير. وقال ابن ماجه: المُوْتَةُ يعني الجنون. والنَّفْث: نَفخ الرجل من فيه من غير أن يخرج ريقه. والكَبِير: الثَّيْبُ. وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل كَبُرَ ثم يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك» ثم يقول: «لا إله إلا الله» ثلاثاً ثم يقول: «الله أكبر كثيراً ثلاثاً أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من هَمَزُه ونَفْخُه ونَفْثُه» ثم يقرأ<sup>(٢)</sup>. وروى سليمان بن سالم عن ابن القاسم رحمه الله أن الاستعاذة: أعوذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم. قال ابن عطية:

وأما المقرئون فأكثرُوا في هذا من تبديل الصفة في اسم الله تعالى وفي الجهة الأخرى، كقول بعضهم: أعوذ بالله المجيد، من الشيطان المريد؛ ونحو هذا مما لا أقول فيه: نعمت البدعة، ولا أقول: إنه لا يجوز<sup>(٣)</sup>.

الخامسة: قال المَهْدَوِيُّ: أجمع القراء على إظهار الاستعاذة في أول سورة الحمد إلا حمزة فإنه أسرها. وروى السدي عن أهل المدينة أنهم كانوا يفتتحون القراءة بالبسملة. وذكر أبو الليث السمرقندي عن بعض المفسرين أن التعوذ فرض، فإذا نسيه القارئ وذكره في بعض الحزب قطع وتعوذ، ثم ابتدأ من أوله. وبعضهم يقول: يستعيز ثم يرجع إلى موضعه الذي وقف فيه؛ وبالأول قال أسانيد الحجاز والعراق؛ وبالثاني قال أسانيد الشام ومصر.

السادسة: حكى الزهراوي قال: نزلت الآية في الصلاة وندبنا إلى الاستعاذة في غير الصلاة وليس بفرض. قال غيره: كانت فرضاً على النبي ﷺ وحده، ثم تأسينا به.

السابعة: روي عن أبي هريرة أن الاستعاذة بعد القراءة؛ وقاله داود. قال أبو بكر بن العربي: انتهى العي يقوم إلى أن قالوا: إذا فرغ القارئ من قراءة القرآن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم<sup>(٤)</sup>. وقد روى أبو سعيد الخدري أن النبي ﷺ كان يتعوذ في صلاته قبل القراءة؛ وهذا نص. فإن قيل: فما الفائدة في الاستعاذة من الشيطان الرجيم وقت القراءة؟ قلنا: فائدتها امتثال الأمر؛ وليس للشرعيات فائدة إلا القيام بحق الوفاء لها في امتثالها أمراً أو اجتنابها نهياً؛ وقد قيل: فائدتها امتثال الأمر بالاستعاذة من وسوسة الشيطان عند القراءة؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيهِ﴾ [الحج: ٥٢]. قال ابن العربي: ومن أغرب ما وجدناه قول مالك في المجموعة في تفسير هذه الآية ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨] قال: ذلك

(١) ضعيف: أبو داود (٧٦٤) في الصلاة، وابن ماجه (٨٠٧) في إقامة الصلاة وضعفه الألباني (٨١٧) في المشكاة.

(٢) صحيح: أبو داود (٧٧٥) في الصلاة، والترمذي (٢٤٢) في الصلاة، وصححه الألباني هناك، وأحمد (٣/٥٠، ٦٩) في المسند.

(٣) انظر: الإتيان (١/ ٢٩٢) للسيوطي.

(٤) انظر: أحكام القرآن (٥/ ٢٠٣) لابن العربي المالكي.

بعد قراءة القرآن لمن قرأ في الصلاة، وهذا قول لم يرد به أثر، ولا يعضده نظر؛ فإن كان هذا كما قال بعض الناس: إن الاستعاذة بعد القراءة، كان تخصيص ذلك بقراءة أم القرآن في الصلاة دعوى عريضة، ولا تشبه أصل مالك ولا فهمه؛ فالله أعلم بسر هذه الرواية (١).

**الثامنة:** في فضل التعوذ: روى مسلم عن سليمان بن صرد قال: استبَّ رجلان عند النبي ﷺ فجعل أحدهما يغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أوداجه؛ فنظر إليه النبي ﷺ فقال: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». فقام إلى الرجل رجل من سمع النبي ﷺ فقال: هل تدري ما قال رسول الله ﷺ آنفاً؟ قال: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب ذا عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». فقال له الرجل: أمجنوناً تراني! أخرجه البخاري أيضاً (٢). وروى مسلم أيضاً عن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي، فقال له رسول الله ﷺ: «ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثاً» قال: ففعلت فأذهبه الله عني (٣). وروى أبو داود عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل عليه الليل قال: «يا أرض ربِّي وربك الله أعوذ بالله من شركٍ ومن شرِّ ما خلق فيك ومن شرِّ ما يدبُّ عليك ومن أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن سناكني البلد ووالد وما ولد» (٤). وروى خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شرِّ ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل» (٥). أخرجه الموطأ ومسلم والترمذي وقال: حديث حسن غريب صحيح. وما يتعوذ منه كثير ثابت في الأخبار؛ والله المستعان.

**التاسعة:** معنى الاستعاذة في كلام العرب: الاستجارة والتحيز إلى الشيء، على معنى الامتناع به من المكروه؛ يقال: عُدت بفلان واستعدت به؛ أي لجأت إليه. وهو عيادي؛ أي ملجئي. وأعدت غيري به وعودته بمعنى. ويقال: عوذ بالله منك؛ أي أعوذ بالله منك؛ قال الرازي:

قالت وفيها حيدةٌ وذعرٌ  
عوذُّ بربي منكم وحجرٌ

(١) قال النووي: «ثم إن التعوذ مستحب ليس بواجب، وهو مستحب لكل قارئ سواء كان في الصلاة أو غيرها، ويستحب في الصلاة في كل ركعة على الصحيح من الوجهين عند أصحابنا، وعلى الوجه الثاني إنما يستحب في الركعة الأولى، فإن تركه في الأولى أتى به في الثانية، ويستحب التعوذ في التكبير الأولى من صلاة الجنائز على أصح الوجهين» انتهى. التبيان (ص ٣٥) بتحقيقي.

وقال في المجموع (٢/ ١٩٠): «فلو مرَّ على قوم سلَّم عليهم وعاد إلى القراءة، فإن أعاد التعوذ كان حسناً» قال: وصفته المختارة: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» وكان جماعة من السلف يزيدون: «السميع العليم» انتهى.

(٢) متفق عليه: البخاري (٦١١٥) في الأدب، ومسلم (٢٦١٠) في البر والصلة، وفيه: (إني لست بمجنون).

(٣) صحيح: مسلم (٢٢٠٣) في السلام.

(٤) ضعيف: أبو داود (٢٦٠٣) في الجهاد، وضعفه الألباني هناك، ورواه أحمد (١٣٢/٢) في المسند.

(٥) صحيح: مسلم (٢٧٠٨) في الذكر والدعاء، والترمذي (٣٤٣٧) في الدعوات، ومالك في الموطأ حديث (٣٤) في الاستئذان.

والعرب تقول عند الأمر تنكره: حُجراً له (بالضم) أي: دفعاً، وهو استعادة من الأمر. والعودة والمعادة والتعويذ كله بمعنى. وأصل أعوذ: أعوذُ نقلت الضمة إلى العين لاستثقالها على الواو فسكنت.

العاشرة: الشيطان واحد الشياطين؛ على التوكسير والنون أصلية، لأنه من شَطَنَ إذا بَعُدَ عن الخير. وشطنت داره، أي: بعدت؛ قال الشاعر:

نأتُ بسعادَ عنكَ نوى شَطُونُ

فبانتُ والفؤادُ بها رهينُ

وبشر شَطُونُ، أي: بعيدة القعر. والشَطْنُ: الحبل؛ سُمِّيَ به لبعده طرفيه وامتهاده. ووصف أعرابي فرسا (لا يحقى) فقال: كأنه شيطان في أشطان. وسُمِّيَ الشيطان شيطاناً؛ لبعده عن الحق وتمرده؛ وذلك أن كل عات متمرّد من الجن والإنس والدواب شيطان؛ قال جرير:

أيامٌ يدعوَنِّي الشَّيْطَانُ من غَزَلٍ

وهُنَّ يَهْوِينَنِي إذ كنتُ شيطاناً

وقيل: إن شيطاناً مأخوذ من شاط يشيط إذا هلك، فالنون زائدة. وشاط: إذا احترق. وشيطت اللحم: إذا دخنته ولم تنضجه. واشتاط الرجل: إذا احتد غضباً. وناقاة مشياط التي يطير فيها السَّمَنُ. واشتاط: إذا هلك؛ قال الأعشى:

قد نَحَضِبُ العَيْرَ من مكنون فائله

وقد يشيط على أرماحنا البطلُ

أي: يهلك. ويردّ على هذه الفرقة: أن سببويه حكى أن العرب تقول: تشيطان فلان: إذا فعل أفعال الشياطين، فهذا بين أنه تفيعل من شطن، ولو كان من شاط لقالوا: تشيط، ويردّ عليهم أيضاً بيت أمية بن أبي الصلت:

أيما شاطن عصاه عكاه

ورماه في السجن والأغلال

فهذا شاطن من شطن لا شك فيه.

الحادية عشرة: الرجيم، أي: المبعد من الخير المهان. وأصل الرجم: الرمي بالحجارة، وقد رجمته أرجمه، فهو رجم ومرجوم. والرجم: القتل واللعن والطرود والشتم، وقد قيل هذا كله في قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]. وقول أبي إبراهيم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنْتَهِ لِأَرْجَمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]. وسيأتي إن شاء الله تعالى.

الثانية عشرة: روى الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال علي بن أبي طالب: رأيت النبي ﷺ عند الصفا وهو مقبل على شخص في صورة الفيل وهو يلعنه، قلت: ومن هذا الذي تلعنه يا رسول الله؟ قال: «هذا الشيطان الرجيم» فقلت: يا عدو الله، والله لأقتلنك ولأريحن الأمة منك؛ قال: ما هذا جزائي منك؟ قلت: وما جزاؤك مني يا عدو الله؟ قال: والله ما أبغضك أحد قط إلا شركت أباه في رجم أمه (١).

(١) موضوع: انظر: تنزيه الشريعة (١/ ٣٦٠) لابن عراق، وذكره الخطيب البغدادي (٣/ ٢٩٠) في تاريخ بغداد. وقال الخطيب البغدادي: «وفيه إسحاق وهو الأحمر وكان من الغلاة وإليه تنسب الطائفة المعروفة بـ (الإسحاقية) وهي ممن يعتقد على الإلهية» انتهى. وفي ميزان الاعتدال (١/ ٣٥٠) للذهبي قال: «وهذا لعله من وضع إسحاق الأحمر» انتهى.

## البسمة

وفيها ثمان وعشرون مسألة (١):

**الأولى:** قال العلماء: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قَسَمَ من ربنا أنزله عند رأس كل سورة، يقسم لعباده: إن هذا الذي وضعت لكم يا عبادي في هذه السورة حق، وإني أفي لكم بجميع ما ضمنت في هذه السورة من وعدي ولطفي وبري. و﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مما أنزله الله تعالى في كتابنا وعلى هذه الأمة خصوصاً بعد سليمان عليه السلام. وقال بعض العلماء: إن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تضمنت جميع الشرع؛ لأنها تدل على الذات وعلى الصفات، وهذا صحيح.

**الثانية:** قال ابن أبي سكينه: بلغني أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر إلي رجل يكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال له: جودها فإن رجلاً جودها فغفر له (٢). قال سعيد: وبلغني أن رجلاً نظر إلى قرطاس فيه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقبله ووضع على عينيه فغفر له. ومن هذا المعنى قصة بشر الحافي، فإنه لما رفع الرقعة التي فيها اسم الله وطيبها طيب اسمه، ذكره القشيري (٣). وروى النسائي عن أبي المليح عن ردف رسول الله ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا عثرت بك الدابة فلا تقل: تعس الشيطان، فإنه يتعاطم حتى يصير مثل البيت، ويقول: بقوتي صنعته ولكن قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فإنه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب» (٤). وقال علي بن الحسين في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّاْ عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]. قال معناه: إذا قلت: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وروى وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال: من أراد أن ينجيته الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ليجعل الله تعالى له بكل حرف منها جنة من كل واحد (٥). فالبسمة تسعة عشر حرفاً على عدد ملائكة أهل النار الذين قال الله فيهم ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشْرَ﴾ [المدثر: ٣٠]. وهم يقولون في كل أفعالهم: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فمن هنالك هي قوتهم، وببسم الله استضعفوا. قال ابن عطية: ونظير هذا قولهم في ليلة القدر: إنها ليلة سبع (١) في المطبوعات: «سبع وعشرون مسألة»، والمذكور (٢٨) مسألة، فصوتها حسب ما ذكرها الإمام القرطبي -

رحمه الله .

- (٢) ضعيف: وابن أبي سكينه هذا لم يدرك علياً رضي الله عنه. ورواه السيوطي بنحوه في الدر المنثور (١/ ٢٤) برقم (١٣٢) بتحقيقي وترقيمي .
- (٣) القصة عند القشيري (١/ ٢٣) في الرسالة القشيرية، ط. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت .
- وبشر هذا هو أبو نصر: بشر بن الحارث أحد أئمة الزهد والورع، وكان محدثاً عاصر الإمام أحمد . (ت٢٢٧هـ) .
- (٤) صحيح: أحمد (٥/ ٥٩)، وجوده ابن كثير (١/ ٨٦) في البداية والنهاية، ورواه أبو داود (٤٩٨٢) في الأدب، وصححه الألباني هناك . ط الرياض .
- (٥) ذكره ابن كثير (١/ ١٨) في التفسير وعزاه القرطبي هنا له ولابن عطية .
- قلت: وكأنما مال إلى قبوله رغم أنه من جهة الرأي لا سند له . وانظر تعقيب ابن عطية كما سيذكره المصنف هنا .

وعشرين، مراعاة للفظه ﴿هِيَ﴾ من كلمات سورة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ . ونظيره أيضا قولهم في عدد الملائكة الذين ابتدروا قول القائل: ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، فإنها بضعة وثلاثون حرفا، فلذلك قال النبي ﷺ: «لقد رأيت بضعا وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول»<sup>(١)</sup>. قال ابن عطية: وهذا من ملح التفسير وليس من متين العلم.

الثالثة: روى الشعبي والأعمش أن رسول الله ﷺ كان يكتب باسمك اللهم حتى أمر أن يكتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فكتبها، فلما نزلت ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] . كتب ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فلما نزلت ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠] كتبها<sup>(٢)</sup>. وفي مصنف أبي داود قال الشعبي وأبو مالك وقتادة وثابت بن عمار: إن النبي ﷺ لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم حتى نزلت سورة النمل<sup>(٣)</sup>.

الرابعة: روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال: البسملة تيجان السور.

قلت: وهذا يدل على أنها ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها. وقد اختلف العلماء في هذا المعنى على ثلاثة أقوال:

الأول: ليست بآية من الفاتحة ولا غيرها، وهو قول مالك.

الثاني: أنها آية من كل سورة، وهو قول عبد الله بن المبارك.

الثالث: قال الشافعي: هي آية في الفاتحة، وتردد قوله في سائر السور، فمرة قال: هي آية من

كل سورة، ومرة قال: ليست بآية إلا في الفاتحة وحدها. ولا خلاف بينهم في أنها آية من القرآن في سورة النمل<sup>(٤)</sup>.

واحتج الشافعي بما رواه الدارقطني من حديث أبي بكر الحنفي عن عبد الحميد بن جعفر عن نوح بن أبي بلال عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا قرأتم الحمد لله رب العالمين فاقروا بسم الله الرحمن الرحيم، إنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها»<sup>(٥)</sup>. رفع هذا الحديث عبد الحميد بن جعفر، وعبد الحميد هذا وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد ويحيى بن معين، وأبو حاتم يقول فيه: محله الصدق، وكان سفيان الثوري يضعفه ويحمل عليه. ونوح بن أبي بلال ثقة مشهور.

(١) صحيح: أحمد (٤/ ٣٤٠).

(٢) ٣، ٢) مرسلان: عون المعبود (٢/ ٣٥٣) وقال: «قال المنذري: وهذا مرسل».

(٤) انظر: الإتيان (١/ ٢٩٣) للسيوطي. بتحقيقي ط دار الفجر. والمعنى (١/ ٢٨٥) لابن قدامة.

(٥) صححه الألباني وهو ضعيف للاختلاف في وقفه ورفع، فقد قال أبو بكر الحنفي: ثم لقيت نوحاً فحدثني به

سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة مثله ولم يرفعه كذا في سنن الدارقطني (١/ ٣١٢)، وعند البيهقي

(٢/ ٤٥) في السنن الكبرى. ثم عبد الحميد بن جعفر مختلف في توثيقه.

وكان حجة الشيخ الألباني: أن نوحاً ثقة ومن دونه كذلك، والموقوف لا يعمل المرفوع، لأن الراوي قد يوقف

الحديث أحياناً فإذا رواه مرفوعاً - وهو ثقة - فهو زيادة يجب قبولها منه. والله أعلم. كذا في الصحيحة (٣/

١٧٩، ١٨٠) برقم (١٨٨٣) وجاء له بشواهد عند البخاري وأبي داود.

وحجة ابن المبارك وأحد قولي الشافعي ما رواه مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «نزلت علي أنفا سورة» فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَأْنَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ وذكر الحديث<sup>(١)</sup>، وسيأتي بكامله في سورة «الكوثر» إن شاء الله تعالى.

الخامسة: الصحيح من هذه الأقوال قول مالك؛ لأن القرآن لا يثبت بأخبار الأحاد وإنما طريقه التواتر القطعي الذي لا يختلف فيه. قال ابن العربي: وكفيك أنها ليست من القرآن اختلاف الناس فيها، والقرآن لا يختلف فيه والأخبار الصحاح التي لا مطعن فيها دالة على أن البسملة ليست بأية من الفاتحة ولا غيرها إلا في النمل وحدها. روى مسلم عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال العبد: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله تعالى: أننى علي عبدي، وإذا قال العبد: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي - وقال مرة: فوض إلي عبدي - فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبي ما سأل، فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: هذا لعبي ولعبي ما سأل»<sup>(٢)</sup>. فقله سبحانه: «قسمت الصلاة» يريد الفاتحة، وسماها صلاة؛ لأن الصلاة لا تصح إلا بها، فجعل الثلاث الآيات الأولى لنفسه، واختص بها تبارك اسمه، ولم يختلف المسلمون فيها. ثم الآية الرابعة جعلها بينه وبين عبده؛ لأنها تضمنت تذلل العبد وطلب الاستعانة منه، وذلك يتضمن تعظيم الله تعالى، ثم ثلاث آيات تامة سبع آيات. وما يدل على أنها ثلاث قوله: «هؤلاء لعبي» أخرجه مالك، ولم يقل: هاتان، فهذا يدل على أن «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» آية. قال ابن بكير: قال مالك: «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» آية، ثم الآية السابعة إلى آخرها. فثبت بهذه القسمة التي قسمها الله تعالى وبقوله عليه السلام لأبي: «كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟» قال: فقرأت «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» حتى أتيت على آخرها<sup>(٣)</sup> أن البسملة ليست بأية منها، وكذا عد أهل المدينة وأهل الشام وأهل البصرة، وأكثر القراء عدوا «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ» آية، وكذا روى قتادة عن أبي نضرة عن أبي هريرة قال: الآية السادسة «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ». وأما أهل الكوفة من القراء والفقهاء فإنهم عدوا فيها «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ولم يعدوا «أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ».

فإن قيل: فإنها ثبتت في المصحف وهي مكتوبة بخطه ونقلت نقله، كما نقلت في النمل، وذلك

(١) صحيح: مسلم (٤٠٠) في الصلاة.

(٢) صحيح: مسلم (٣٩٥) في الصلاة.

(٣) منقطع: قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٨/ ١٥٧): «وَوَهَمَ ابْنُ الْأَثِيرِ حَيْثُ ظَنَّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ شَيْخَ الْعِلْمِ

هُوَ أَبُو سَعِيدِ بْنِ الْمَعْلِيِّ، فَإِنَّ ابْنَ الْمَعْلِيِّ صَحَابِيَّ أَنْصَارِيٍّ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَدَنِيٍّ، وَذَلِكَ تَابِعِيٍّ مِنْ مَوْلَى قُرَيْشٍ».

قلت: وذكره ابن كثير (١/ ١٣) في التفسير وقال: «وهذا ظاهره منقطع».

وقد رواه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الصلاة، باب (٨) رقم (٣٧) بتحقيقي، وهو موصول عند البخاري

(٤٤٧٤) في التفسير، عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه.

متواتر عنهم. قلنا<sup>(١)</sup>: ما ذكرتموه صحيح، ولكن لكونها قرآناً أو لكونها فاصلة بين السور - كما روي عن الصحابة: كنا لا نعرف انقضاء السورة حتى تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أخرجه أبو داود - أبو تبركا بها، كما قد اتفقت الأمة على كتبها في أوائل الكتب والرسائل؟ كل ذلك محتمل. وقد قال الجريري: سئل الحسن عن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال: في صدور الرسائل. وقال الحسن أيضاً: لم تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في شيء من القرآن إلا في ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. والفصل أن القرآن لا يثبت بالنظر والاستدلال، وإنما يثبت بالنقل المتواتر القطعي الاضطراري. ثم قد اضطرب قول الشافعي فيها في أول كل سورة فدل على أنها ليست بأية من كل سورة؛ والحمد لله.

فإن قيل: فقد روى جماعة قرآنيته، وقد تولى الدارقطني جمع ذلك في جزء صححه. قلنا: لسنا ننكر الرواية بذلك وقد أشرنا إليها، ولنا أخبار ثابتة في مقابقتها، رواها الأئمة الثقات والفقهاء الأثبات: زوت عائشة في صحيح مسلم قالت: كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بالحمد لله رب العالمين، الحديث<sup>(٢)</sup>. وسيأتي بكماله. وروى مسلم أيضاً عن أنس بن مالك قال: صليت خلف النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين؛ لا يذكرون ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لا في أول قراءة ولا في آخرها<sup>(٣)</sup>.

ثم إن مذهبنا يترجح في ذلك بوجه عظيم، وهو المعقول؛ وذلك أن مسجد النبي ﷺ بالمدينة انقضت عليه العصور، ومرت عليه الأزمنة والدهور، من لدن رسول الله ﷺ إلى زمان مالك، ولم يقرأ أحد فيه قط ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اتباعاً للسنّة؛ وهذا يرد أحاديثكم. بيد أن أصحابنا استحبوا قراءتها في النفل وعليه تحمل الآثار الواردة في قراءتها أو على السعة في ذلك. قال مالك: ولا بأس أن يقرأ بها في النافلة ومن يعرض القرآن عرضاً.

(١) ذكر الإمام النووي - رحمه الله: «أن البسمة آية كاملة من كل سورة غير براءة على الصحيح من مذهب الشافعية، وهو قول ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وطاوس، وعطاء، ومكحول، وابن المنذر، ووافق الشافعي على كونها آية من الفاتحة أحمد، وإسحاق، وأبو عبيد، وجماعة من أهل الكوفة ومكة وأكثر أهل العراق وغيرها. وهناك من العلماء من قال: إنها ليست بأية من الفاتحة وغيرها. وقال أحمد: هي آية في أول الفاتحة وليست بقرآن في أوائل السور. وعنه رواية أخرى: أنها ليست من الفاتحة أيضاً. وقال أبو بكر الرازي من الحنفية: إنها آية بين كل سورتين غير الأنفال وبراءة. وليست من السور، واحتج الشافعية ومن نهج نهجهم على أنها آية كاملة من أول كل سورة بأن الصحابة رضی الله عنهم أجمعوا على إثباتها في المصحف في أوائل السور سوى براءة. فلو لم تكن قرآناً لما استجازوا إثباتها بخط المصحف من غير تمييز؛ لأن ذلك يحمل على اعتقاد أنها قرآن فيكونون مغررين بالمسلمين حاملين لهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً، فهذا مما لا يجوز اعتقاده في الصحابة رضي الله عنهم، فإن قيل: لعلها أثبت للفصل بين السور؟ فالجواب من وجهين: الأول: أن هذا فيه تغرير ولا يجوز ارتكابه لمجرد الفصل.

الثاني: أنها لو كانت للفصل لكتبت بين «الأنفال وبراءة» ولما حسن كتابتها في أول «الفاتحة». راجع: آراء الفقهاء بالتفصيل في المجموع للنووي (٣/ ٣٣٤).

(٢) صحيح: مسلم (٤٩٨/ ٢٤٠) في الصلاة.

(٣) صحيح: مسلم (٣٩٩/ ٥٠ - ٥٢) في الصلاة.

وجملة مذهب مالك وأصحابه: أنها ليست عندهم آية من فاتحة الكتاب ولا غيرها، ولا يقرأ بها المصلي في المكتوبة ولا في غيرها سراً ولا جهراً؛ ويجوز أن يقرأها في النوافل. هذا هو المشهور من مذهبه عند أصحابه. وعنه رواية أخرى أنها تقرأ أول السورة في النوافل، ولا تقرأ أول أم القرآن. وروى عنه ابن نافع ابتداء القراءة بها في الصلاة الفرض والنفل ولا تترك بحال. ومن أهل المدينة من يقول: إنه لا بد فيها من ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ منهم ابن عمر، وابن شهاب؛ وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق وأبو ثور وأبو عبيد. وهذا يدل على أن المسألة مسألة اجتهادية لا قطعية، كما ظن بعض الجهال من المتفهمة الذي يلزم على قوله تكفير المسلمين؛ وليس كما ظن لوجود الاختلاف المذكور؛ والحمد لله.

وقد ذهب جمع من العلماء إلى الإسرار بها مع الفاتحة؛ منهم: أبو حنيفة والثوري؛ وروى ذلك عن عمر وعليّ وابن مسعود وعمّار وابن الزبير؛ وهو قول الحكم وحماد؛ وبه قال أحمد بن حنبل وأبو عبيد؛ وروى عن الأوزاعي مثل ذلك؛ حكاه أبو عمر بن عبد البر في الاستذكار واحتجوا من الأثر في ذلك بما رواه منصور بن زاذان عن أنس بن مالك قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فلم يسمنا قراءة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وما رواه عمار بن رزق عن الأعمش عن شعبة عن ثابت عن أنس قال: صليت خلف النبي ﷺ وخلف أبي بكر وعمر، فلم أسمع أحداً منهم يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم (١).

قلت: هذا قول حسن، وعليه تنفق الآثار عن أنس ولا تضاد ويخرج به من الخلاف في قراءة البسمة. وقد روي عن سعيد بن جبير قال: هذا محمد يذكر رحمان اليمامة - يعنون مسيلمة - فأمر أن يخافت بيسم الله الرحمن الرحيم، ونزل ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] (٢). قال الترمذي الحكيم أبو عبد الله: بقي ذلك إلى يومنا هذا على ذلك الرسم وإن زالت العلة، كما بقي الرمل في الطواف وإن زالت العلة، وبقيت المخافتة في صلاة النهار وإن زالت العلة (٣).

السادسة: اتفقت الأمة على جواز كتبها في أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل؛ فإن كان الكتاب ديوان شعر فروى مجالد عن الشعبي قال: أجمعوا ألا يكتبوا أمام الشعر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٤). وقال الزهري: مضت السنة ألا يكتبوا في الشعر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وذهب إلى رسم التسمية في أول كتب الشعر سعيد بن جبير، وتابعه على ذلك أكثر المتأخرين. قال أبو بكر الخطيب: وهو الذي نختاره ونستحبه.

السابعة: قال الماوردي (٥): ويقال لمن قال: بسم الله: مَبْسُومٌ، وهي لغة مؤلدة، وقد جاءت في

(١) صحيح: يشهد له السابق.

(٢) هذا مرسل وسيأتي في موضعه.

(٣) قاله الحكيم الترمذي (٤/ ١٢٩) في نوادر الأصول. ط دار الجبل - بيروت.

(٤) ضعيف: مجالد بن سعيد الهمداني ليس بالقوي، وذكره السيوطي في الدر المستور (١/ ٢٤) برقم (١٢٩) بترقيمي وعزه الخطيب.

(٥) هو علي بن حبيب، أبو الحسين البصري الشافعي. له تفسير معروف بـ (الذكي الصوت) (ت ٤٥٠هـ).

الشعر؛ قال عمر بن أبي ربيعة:

لقد بَسَمْتُ لِيلى غداةَ لقيتها فيا حَبِّذا ذاك الحبيبُ المِسمِلُ

قلت: المشهور عن أهل اللغة بسم. قال يعقوب بن السُّكَيْتِ والمُطَرِّزُ والثعالبي وغيرهم من أهل اللغة: بسم الرجل، إذا قال: بسم الله. يقال: قد أكثرت من البسمة؛ أي من قول بسم الله. ومثله حَوَقَلَ الرجل، إذا قال: لا حَوَلَ ولا قوَةَ إلا بالله. وهَلَّلَ، إذا قال: لا إله إلا الله. وَسَبَّحَلَ: إذا قال: سبحان الله. وَحَمَدَلَ: إذا قال: الحمد لله. وَحَيَّصَلَ: إذا قال: حي على الصلاة. وَجَعَفَلَ، إذا قال: جُعِلت فداك. وَطَبَّقَلَ: إذا قال: أطال الله بقاءك. وَدَمَعَرَ: إذا قال: أدام الله عزك. وَحَيَّفَلَ: إذا قال: حي على الفلاح. ولم يذكر المُطَرِّزُ: الحَيَّصَلَ، إذا قال: حي على الصلاة.

الثامنة: نذب الشرع إلى ذكر البسمة في أوَّل كل فعل؛ كالأكل والشرب والنحر؛ والجماع والطهارة وركوب البحر، إلى غير ذلك من الأفعال؛ قال الله تعالى: ﴿فَكَلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾. [الأنعام: ١١٨] ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]. وقال رسول الله ﷺ: «أغلق بابك، واذكر اسم الله وأطفئ مصباحك، واذكر اسم الله، وخمّر<sup>(١)</sup> إناءك واذكر اسم الله وأوك<sup>(٢)</sup> سقاءك، واذكر اسم الله<sup>(٣)</sup>». وقال: «لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً<sup>(٤)</sup>». وقال لعمر بن أبي سلمة: «يا غلام سمَّ الله وكُلَّ يمينك وكلَّ مما يليك<sup>(٥)</sup>» وقال: «إن الشيطان ليستحل الطعام ألا يذكر اسم الله عليه<sup>(٦)</sup>»، وقال: «من لم يذبح فليذبح باسم الله<sup>(٧)</sup>». وشكا إليه عثمان ابن أبي العاص وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله ﷺ: «ضع يدك على الذي تألم من جسديك وقل بسم الله ثلاثاً»، وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر<sup>(٨)</sup>. هذا كله ثابت في الصحيح. وروى ابن ماجه والترمذي عن النبي ﷺ قال: «ستر ما بين

(١) خمّر: من التخمير وهي التغطية كما في النهاية (٧٧ / ٢) لابن الأثير.

(٢) أوك: شد رأس السقاء (القربة) بالوى: وهو الخيط الذي تُشد به الصرة والكيس. النهاية (٥ / ٢٢١) لابن الأثير.

(٣) صحيح: أبو داود (٢٧٣١) في الأشربة، وصححه الألباني هناك.

قلت: وأصله في الصحيحين عن جابر من طريق آخر، فقد رواه البخاري (٥٦٢٣، ٥٦٢٤) في الأشربة،

ومسلم (٢٠١٢ / ٩٦) في الأشربة من طريق أبي الأثير عن جابر.

ومسلم (٢٠١٢ / ٩٧) في الأشربة من طريق أبي داود ولكن بزيادة: «إذا كان جنح الليل - أو أمسيتم - فكفوا

صبيانكم فإن الشيطان ينتشر حيثنذ، فإذا ذهب ساعة من الليل وخلوهم وأغلقوا الأبواب... الحديث.

(٤) صحيح: مسلم (١٤٣٤) في النكاح.

(٥) متفق عليه: البخاري (٥٣٧٦) في الأطعمة، ومسلم (٢٠٢٢ / ١٠٩) في الأشربة.

(٦) صحيح: مسلم (٢٠١٧ / ١٠٢) في الأشربة (٢٠١٧ مكرر)، و(مكرر / ١) عن حذيفة رضي الله عنه.

(٧) متفق عليه: البخاري (٥٥٦٢) في الذبائح، ومسلم (١٩٦٠ / ١) في الأضاحي، عن جندب بن سفيان.

(٨) صحيح: مسلم (٢٢٠٢) في السلام.

الجن وعورات بني آدم إذا دخل الكَيْف أن يقول بسم الله» (١). وروى الدارقطني عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا مس طهوره سَمَّى الله تعالى، ثم يُفْرِغ الماء على يديه (٢).

التاسعة: قال علماؤنا: وفيها ردّ على القَدْرِيَّة وغيرهم ممن يقول: إن أفعالهم مقدورة لهم. وموضع الاحتجاج عليهم من ذلك أن الله سبحانه أمرنا عند الابتداء بكل فعل أن نفتتح بذلك، كما ذكرنا.

فمعنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، أي: بالله. ومعنى بـ﴿اللَّهُ﴾، أي: بخلقه وتقديره يوصل إلى ما يوصل إليه. وسيأتي لهذا مزيد بيان إن شاء الله تعالى. وقال بعضهم: معنى قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ يعني بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته، وهذا تعليم من الله تعالى عباده، ليذكروا اسمه عند افتتاح القراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة الله جلّ وعزّ.

العاشرة: ذهب أبو عبيدة معمر بن المثنى إلى أن «اسم» صلة زائدة، واستشهد بقول لبيد: إلى الحَوْلِ ثم اسم السلام عليكما وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ فذكر «اسم؛ زيادة، وإنما أراد: ثم السلام عليكما.

وقد استدلل علماؤنا بقول لبيد هذا على أن الاسم هو المسمى. وسيأتي الكلام فيه في هذا الباب وغيره، إن شاء الله تعالى.

الحادية عشرة: اختلف في معنى زيادة «اسم» فقال قُطْرُب: زيدت لإجلال ذكره تعالى وتعظيمه. وقال الأخفش: زيدت ليخرج بذكرها من حكم القَسَم إلى قصد التبرك؛ لأن أصل الكلام: بالله.

الثانية عشرة: اختلفوا أيضاً في معنى دخول الباء عليه، هل دخلت على معنى الأمر؟ والتقدير: ابدأ بسم الله. أو على معنى الخبر؟ والتقدير: ابتدأت بسم الله؛ قولان: الأول للفرأء، والثاني للزجاج. فـ«باسم» في موضع نصب على التأويلين. وقيل: المعنى ابتدائي بسم الله؛ فـ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في موضع رفع خبر الابتداء. وقيل: الخبر محذوف؛ أي ابتدائي مستقر أو ثابت بسم الله؛ فإذا أظهرته كان ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في موضع نصب بثابت أو مستقر، وكان بمنزلة قولك: زيد في الدار. وفي التنزيل ﴿فَلَمَّا رَأَهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠]. فـ﴿عِنْدَهُ﴾ في موضع نصب؛ روي هذا عن نحاة أهل البصرة. وقيل: التقدير ابتدائي بسم الله موجود أو ثابت، فـ﴿بِسْمِ﴾ في موضع نصب بالمصدر الذي هو ابتدائي.

الثالثة عشرة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾، تكتب بغير ألف استغناء عنها بياء الإلصاق في اللفظ والخط لكثرة الاستعمال؛ بخلاف قوله: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فإنها لم تحذف لقلة الاستعمال. واختلفوا في حذفها مع الرحمن والقاهر؛ فقال الكسائي وسعيد الأخفش: تحذف الألف. وقال يحيى بن وثاب: لا تحذف إلا مع ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ فقط؛ لأن الاستعمال إنما كثر فيه.

الرابعة عشرة: واختلف في تخصيص باء الجر بالكسر على ثلاثة معان؛ فقيل: ليناسب لفظها

(١) صححه الألباني: كما في ترقيمه لسنن الترمذي (٦٠٦) في الطهارة، وفي سنن ابن ماجه (٢٩٧) في الطهارة عن أنس رضي الله عنه.

(٢) منكر: فيه حارثة بن أبي الرجال (وأصله مدني) عن عمرة عن عائشة، وحديثه عن عمرة منكر، كما في التاريخ الكبير (٩٤ / ٣) وانظر: سنن الدارقطني (١ / ٧٢).

عملها. وقيل: لما كانت الباء لا تدخل إلا على الأسماء خُصَّتْ بالخفض الذي لا يكون إلا في الأسماء الثالث: ليفرق بينها وبين ما قد يكون من الحروف اسماً؛ نحو الكاف في قول الشاعر:

وَرَحْنَا بِكَابِنِ الْمَاءِ يُجَنَّبُ وَسَطَنَا

أي: بمثل ابن الماء أو ما كان مثله.

الخامسة عشرة: اسم، وزنه أفعُ، والذاهب منه الواو؛ لأنه من سَمَوْتُ، وجمعه أسماء، وتصغيره سُمَيَّ. واختلف في تقدير أصله، فقيل: فَعْل، وقيل: فَعْل. قال الجوهري: وأسماء يكون جمعاً لهذا الوزن، وهو مثل جَدَعٍ وأجذاع، وقُفْلٍ وأقفال؛ وهذا لا تدرك صيغته إلا بالسمع. وفيه أربع لغات: اسم بالكسر، وأسم بالضم. قال أحمد بن يحيى: مَنْ ضَمَّ الألف أخذَه من سَمَوْتُ أَسْمُو، ومن كسر أخذَه من سميت أسمى. ويقال: سِمٌ وَسَمٌ، ويُشَدُّ:

واللَّهُ أَسْمَاكُ سُمًّا مَبَارِكًا      آثَرَكُ اللهُ بِهِ يَثَارِكَا

وقال آخر:

وعامناً أعجبنا مقدمه      يُدْعَى أبا السَّمْعِ وَقِرْضَابٌ سِمَةٌ  
مَبْتَرِكَا لِكُلِّ عَظْمٍ يَلْحُمُهُ

قرضب الرجل: إذا أكل شيئاً يابساً، فهو قرضاب. «سِمَةٌ» بالضم والكسر جميعاً. ومنه قول

الأخر:

باسم الذي في كل سورة سُمُه

وسكنت السين من «بسم» اعتلالاً على غير قياس، وألفه ألف وصل، وربما جعلها الشاعر ألف

قطع للضرورة؛ كقول الأخوص:

وما أنا بالمخسوس في جذم مالك      ولا من تسمى ثم يلتزم الإسماء

السادسة عشرة: تقول العرب في النسب إلى الاسم: سُمِيَّ، وإن شئت أسمى، تركته على

حاله، وجمعه أسماء، وجمع الأسماء أسام. وحكى الفراء: أعيدك بأسموات الله.

السابعة عشرة: اختلفوا في اشتقاق الاسم على وجهين؛ فقال البصريون: هو مشتق من السُمُوِّ

وهو العلوُّ والرفعة، فقيل: اسم لأن صاحبه بمنزلة المرتفع به. وقيل: لأن الاسم يسمو بالمسمى فيرفعه

عن غيره. وقيل: إنما سُمِيَ الاسم اسماً لأنه علا بقرته على قسَمي الكلام: الحرف والفعل؛ والاسم

أقوى منهما بالإجماع لأنه الأصل؛ فلعلوهُ عليهما سُمي اسماً؛ فهذه ثلاثة أقوال.

وقال الكوفيون: إنه مشتق من السَمَّة وهي العلامة؛ لأن الاسم علامة لمن وضع له؛ فأصل اسم

على هذا «وسم». والأوَّلُ أصح؛ لأنه يقال في التصغير سمي وفي الجمع أسماء؛ والجمع والتصغير

يردآن الأشياء إلى أصولها؛ فلا يقال: وسيم ولا أوسام. ويدل على صحته أيضاً فائدة الخلاف وهي:

الثامنة عشرة: فإن من قال الاسم مشتق من العُلُوِّ يقول: لم يزل الله سبحانه موصوفاً قبل وجود

الخلق وبعد وجودهم وعند فنانهم، ولا تأثير لهم في أسمائه ولا صفاته؛ وهذا قول أهل السنة. ومن

قال: الاسم مشتق من السمة يقول: كان الله في الأزل بلا اسم ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا

له أسماء وصفات، فإذا أفناهم بقي بلا اسم ولا صفة؛ وهذا قول المعتزلة وهو خلاف ما أجمعت عليه الأمة، وهو أعظم في الخطأ من قولهم: إِنَّ كَلِمَةَ مَخْلُوقٍ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَعَلَى هَذَا الْخِلَافِ وَقَعَ الْكَلَامُ فِي الْأَسْمِ وَالْمُسَمَّى وَهِيَ:

التاسعة عشرة: فذهب أهل الحق فيما نقل القاضي أبو بكر بن الطيب إلى أن الاسم هو المسمى، وارتضاه ابن فورك<sup>(١)</sup>؛ وهو قول أبي عبيدة وسيبويه. فإذا قال قائل: الله عالم؛ فقله دالّ على الذات الموصوفة بكونه عالماً، فالاسم كونه عالماً وهو المسمى بعينه. وكذلك إذا قال: الله خالق؛ فالخالق هو الرب، وهو بعينه الاسم. فالاسم عندهم هو المسمى بعينه من غير تفصيل. قال ابن الحصار<sup>(٢)</sup>: مَنْ يَنْفِي الصِّفَاتِ مِنَ الْمُبْتَدَعَةِ يَزْعُمُ أَنَّ لَا مَدْلُولَ لِلتَّسْمِيَاتِ إِلَّا الذَّاتِ، وَلِذَلِكَ يَقُولُونَ: الْأَسْمَاءُ غَيْرُ الْمُسَمَّى، وَمَنْ يَثْبُتِ الصِّفَاتِ يَثْبُتِ لِلتَّسْمِيَاتِ مَدْلُولَاتٌ هِيَ أَوْصَافُ الذَّاتِ وَهِيَ غَيْرُ الْعِبَارَاتِ وَهِيَ الْأَسْمَاءُ عِنْدَهُمْ. وَسَيَأْتِي لِهَذِهِ مَزِيدٌ بَيَانٌ فِي «الْبِقْرَةِ» وَ «الْأَعْرَافِ»؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الموفية عشرين: قوله ﴿اللَّهُ﴾ هذا الاسم أكبر أسمائه سبحانه وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم ولم يتسم به غيره؛ ولذلك لم يثنّ ولم يجمع؛ وهو أحد تأويلي قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: ٦٥] أي: من تسمى باسمه الذي هو ﴿اللَّهُ﴾. فالله اسم للموجود الحق الجامع لصفات الإلهية، المنعوت بنعوت الربوبية، المنفرد بالوجود الحقيقي، لا إله إلا هو سبحانه. وقيل: معناه الذي يستحق أن يُعبد. وقيل: معناه واجب الوجود الذي لم يزل ولا يزال؛ والمعنى واحد.

الحادية والعشرون: واختلفوا في هذا الاسم هل هو مشتق أو موضوع للذات علم؟ فذهب إلى الأوّل كثير من أهل العلم. واختلفوا في اشتقاقه وأصله؛ فروى سيبويه عن الخليل أن أصله إلاه، مثل فعّال؛ فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة. قال سيبويه: مثل الناس أصله أناس. وقيل: أصل الكلمة «لاه» وعليه دخلت الألف واللام للتعظيم، وهذا اختيار سيبويه. وأنشد:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني فتخزوني

كذا الرواية: فتخزوني، بالخاء المعجمة ومعناه: تسوسني.

وقال الكسائي والفراء: معنى ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ بسم الإله؛ فحذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية فصارتا لأمأ مشددة؛ كما قال عز وجل: ﴿لَكُنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] ومعناه: لكن أنا، كذلك قرأها الحسن. ثم قيل: هو مشتق من «وكه» إذا تحمّر؛ والوله: ذهاب العقل. يقال: رجلٌ وآلهٌ وامرأةٌ والهةٌ وآلهٌ، وماء موله: أرسل في الصحارى. فالله سبحانه تتحير الالباب وتذهب في حقائق صفاته والفكر في معرفته<sup>(٣)</sup>. فعلى هذا أصل «إلاه» «ولاه» وأن الهمزة مبدلة من واو كما أبدلت في

(١) هو محمد بن الحسن بن فورك، وكنيته أبو بكر، كان شافعيًا فقيهاً، أصولياً، متكلماً، وله مؤلفات وتصانيف كثيرة (ت ٤٠٦هـ).

(٢) هو قاضي الجماعة أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد (ت ٤٢٣هـ).

(٣) قال ابن كثير (١/ ٥٢، ٥٣) في تفسيره: «لا يعرف لهذا الاسم من كلام العرب اشتقاق من نقله القرطبي عن جماعة من العلماء... وقال الخطابي: ألا ترى أنك تقول: (يا الله) ولا تقول (يا الرحمن) ولولا أنه =

إشاح ووشاح، وإسادة ووسادة؛ ورؤي عن الخليل. ورؤي عن الضحاك أنه قال: إنما سُمِّيَ ﴿الله﴾ إلهاً، لأن الخلق يتألّهون إليه في حوائجهم، ويتضرعون إليه عند شدائهم. ودُكر عن الخليل بن أحمد أنه قال: لأن الخلق يألّهون إليه (بنصب اللام) ويألّهون أيضاً (بكسرها) وهما لغتان. وقيل: إنه مشتق من الارتفاع؛ فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع: لاهاً، فكانوا يقولون إذا طلعت الشمس: لاهت. وقيل: هو مشتق من آله الرجل إذا تعبد. وتأله إذا تنسك؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ويذكر وآلهتكم﴾. على هذه القراءة؛ فإن ابن عباس وغيره قالوا: وعبادتكم<sup>(١)</sup>.

قالوا: فاسم الله مشتق من هذا، فالله سبحانه معناه المقصود بالعبادة، ومنه قول الموحدين: لا إله إلا الله، معناه لا معبود غير الله. و«إلا» في الكلمة بمعنى غير، لا بمعنى الاستثناء. وزعم بعضهم أن الأصل فيه «الهاء» التي هي الكناية عن الغائب، وذلك أنهم أثبتوه موجوداً في فطر عقولهم فأشاروا إليه بحرف الكناية عن الغائب، ثم زيدت فيه لام الملك إذ قد علموا أنه خالق الأشياء ومالكها فصار «له» ثم زيدت فيه الألف واللام تعظيماً وتفخيماً.

القول الثاني: ذهب إليه جماعة من العلماء أيضاً منهم الشافعي وأبو المعالي والخطابي والغزالي والمفضل وغيرهم، ورؤي عن الخليل وسيبويه: أن الألف واللام لازمة له لا يجوز حذفهما منه. قال الخطابي: والدليل على أن الألف واللام من بنية هذا الاسم، ولم يدخلها للتعريف: دخول حرف النداء عليه؛ كقولك: يا الله، وحروف النداء لا تجتمع مع الألف واللام للتعريف؛ ألا ترى أنك لا تقول: يا الرحمن ولا يا الرحيم، كما تقول: يا الله، فدل على أنهما من بنية الاسم. والله أعلم.

الثانية والعشرون: واختلفوا أيضاً في اشتقاق اسمه الرحمن؛ فقال بعضهم: لا اشتقاق له لأنه من الأسماء المختصة به سبحانه، ولأنه لو كان مشتقاً من الرحمة لاتصل بذكر المرحوم، فجاز أن يقال: الله رحمن بعباده، كما يقال: رحيم بعباده. وأيضاً لو كان مشتقاً من الرحمة لم تنكره العرب حين سمعوه، إذ كانوا لا ينكرون رحمة ربهم، وقد قال الله عز وجل: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن؟﴾ [الفرقان: ٦٠] الآية. ولما كتب علي رضي الله عنه في صلح الحديبية بأمر النبي ﷺ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال سهيل بن عمرو: أما ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فما ندرى ما ﴿بِسْمِ اللَّهِ

= من أصل الكلمة - أي الألف واللام - لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام.

وفي الصواعق المرسلة (ص ٧٤٩) لابن قيم الجوزية قال - رحمه الله : « وإن كان الناس متازعين في اشتقاقه فليس ذلك نزاع منهم في معناه ، إنما هو نزاع في وجه دلالة اللفظ على ذلك المعنى مع اتفاقهم على أن المعنى واحد ، وهذا القدر لا يخرج اللفظ عن إفادته للسامع اليقين بمسماه » انتهى .

قلت : وقال ابن عثيمين - رحمه الله : ( الله ) هو المألوه ، أي : المعبود حياً وتعظيماً وتألهاً وشوقاً . شرح لمعة الاعتقاد (ص ١٥) بتحقيقي .

(١) ضعيف : سعيد بن منصور (٥/ ١٥١) في سننه .

ورواه الطبري بسند منقطع عن علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس ولم يلقه . تفسير الطبري (٩/ ١٢٥) .

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ! ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم ، الحديث (١). قال ابن العربي: إنما جهلوا الصفة دون الموصوف، واستدل على ذلك بقولهم: وما الرحمن؟ ولم يقولوا: ومن الرحمن؟ قال ابن الحصار: وكأنه رحمه الله لم يقرأ الآية الأخرى «وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ» [الرعد: ٣٠]. وذهب الجمهور من الناس إلى أن «الرَّحْمَنِ» مشتق من الرحمة مبني على المبالغة؛ ومعناه ذو الرحمة الذي لا نظير له فيها، فلذلك لا يُشْتَى ولا يجمع كما يُشْتَى «الرَّحِيمِ» ويجمع.

قال ابن الحصار: وما يدل على الاشتقاق ما خرّجه الترمذي وصحّحه عن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرَّحِمَ وشققت لها اسماً من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته» (٢). وهذا نص في الاشتقاق، فلا معنى للمخالفة والشقاق، وإنكار العرب له لجهلهم بالله وبما وجب له.

الثالثة والعشرون: زعم المبرد فيما ذكر ابن الأنباري في كتاب «الزاهر» له: أن «الرَّحْمَنِ» اسم عبراني ف جاء معه ب «الرَّحِيمِ». وأنشد:

لن تُدرِكوا المجد أو تشروا عباءكم  
بالخز أو تجعلوا الينبوت ضمراًنا  
أو تتركون إلى القسّين هجرتكم  
ومسحكم صلّبهم رحماناً قربانا

قال أبو إسحق الزجاج في «معاني القرآن»: وقال أحمد بن يحيى: «الرَّحِيمِ» عربي و«الرَّحْمَنِ» عبراني، فلهذا جمع بينهما. وهذا القول مرغوب عنه.

وقال أبو العباس: النعت قد يقع للمدح؛ كما تقول: قال جرير الشاعر. وروى مطرف عن قتادة في قول الله عز وجل: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» قال: مدح نفسه. قال أبو إسحاق: وهذا قول حسن. وقال قُطْرُب (٣): يجوز أن يكون جمع بينهما للتوكيد. قال أبو إسحاق: وهذا قول حسن، وفي التوكيد أعظم الفائدة، وهو كثير في كلام العرب، ويستغني عن الاستشهاد؛ والفائدة في ذلك ما قاله محمد بن يزيد: إنه تفضّل بعد تفضّل، وإنعام بعد إنعام، وتقوية لمطامع الراغبين، ووعد لا يخيب أمله.

الرابعة والعشرون: واختلفوا هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين؟ فقيل: هما بمعنى واحد؛ كندمان ونديم. قاله أبو عبيدة. وقيل: ليس بناء فعلان كفعيل، فإن فعلان لا يقع إلا على مبالغة الفعل؛ نحو قولك: رجل غضبان، للممثلة غضباً. وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول. قال عمّاس (٤):

فأما إذا عصت بك الحربُ عصّةً  
فإنك معطوفٌ عليك رَحِيمٌ

ف «الرَّحْمَنِ» خاص الاسم، عام الفعل. و «الرَّحِيمِ» عام الاسم، خاص الفعل. هذا قول

(١) صحيح: قطعة من حديث صلح الحُدَيْبِيَّة الطويل المروي في البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) في الشروط، عن مروان ابن الحكم، والمسور بن مخرمة يصدق حديثهما الآخر.

(٢) صحيح: الترمذي (١٩٠٧) في البر والصلة، عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وقال: «وفي الباب عن أبي هريرة، وابن أبي أوفى، وعامر بن ربيعة، وجبّير بن مطعم، وأبي سعيد»، وصححه الألباني (٥٢٠) في الصحيحة.

(٣) هو اللغوي أبو علي محمد بن المستنير البصري كان معتزلاً (ت ٢٠٦هـ).

(٤) هو عمّاس بن عقيل - كذا جاء في اللسان.

الجمهور.

قال أبو عليّ الفارسيّ: «الرحمن» اسم عام في جميع أنواع الرحمة، يختص به الله .  
 ﴿والرَّحِيمِ﴾ إنما هو في جهة المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣] . وقال  
 العزمي: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ بجميع خلقه في الأمطار ونعم الحواس والنعم العامة، و﴿الرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنين في  
 الهداية لهم، واللطف بهم. وقال ابن المبارك: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ إذا سُئِلَ أعطى، و﴿الرَّحِيمِ﴾ إذا لم يُسأل  
 غَضِب. وروى ابن ماجه في سننه والترمذي في جامعه عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول  
 الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يُسألِ اللهَ يغضب عليه»<sup>(١)</sup> لفظ الترمذي. وقال ابن ماجه: «مَنْ لَمْ يَدْعُ اللهَ  
 سبحانه غضب عليه»<sup>(٢)</sup>. وقال: سألت أبا زرعة عن أبي صالح هذا، فقال: هو الذي يقال له:  
 الفارسيّ وهو خوزيّ ولا أعرف اسمه. وقد أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقال:

الله يَغْضِبُ إن تَرَكْتَ سؤَالَهُ  
 وَبُنِيَ آدَمَ حِينَ يُسألُ يَغْضِبُ

وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، أي أكثر رحمة.

قال الخطابي: وهذا مشكل؛ لأن الرقة لا مدخل لها في شيء من صفات الله تعالى. وقال  
 الحسين بن الفضل البجلي: هذا وهم من الراوي، لأن الرقة ليست من صفات الله تعالى في شيء،  
 وإنما هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، والرفق من صفات الله عز وجل؛ قال النبي ﷺ:  
 «إن الله رفيق يُحب الرفق ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنف»<sup>(٣)</sup>.

الخامسة والعشرون: أكثر العلماء على أن «الرَّحْمَنُ» مختص بالله عز وجل، لا يجوز أن يُسمَى  
 به غيره، إلا تراه قال: «قُلْ ادْعُوا اللهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ» [الإسراء: ١١٠] . فعادل الاسم الذي لا يشركه  
 فيه غيره. وقال: «وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» [الزخرف: ٤٥]  
 فأخبر أن «الرَّحْمَنُ» هو المستحق للعبادة جل وعز. وقد تجاسر مُسَيِّمَةُ الكذاب لعنه الله فتسمى  
 برحمان اليمامة، ولم يتسم به حتى قرع مسامعهُ نَعَتْ الكذاب فألزمه الله تعالى نَعْتَ الكذاب لذلك،  
 وإن كان كل كافر كاذباً، فقد صار هذا الوصف لمُسَيِّمَةَ علماً يُعرف به، ألزمه الله إياه. وقد قيل في  
 اسمه الرحمن: إنه اسم الله الأعظم، ذكره ابن العربي.

السادسة والعشرون: «الرَّحِيمِ» صفة مطلقة للمخلوقين، ولما في «الرَّحْمَنِ» من العموم قدم  
 في كلامنا على «الرَّحِيمِ» مع موافقة التنزيل؛ قاله المهدي. وقيل: إن معنى «الرَّحِيمِ» أي: بالرحيم  
 وصلتم إلى الله وإلى الرحمن، فـ «الرَّحِيمِ» نعت محمد ﷺ، وقد نعته تعالى بذلك فقال: ﴿رُءُوفٌ  
 رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] فكان المعنى أن يقول: بسم الله الرحمن وبالرحيم؛ أي: وبمحمد ﷺ وصلتم  
 إليّ، أي: باتباعه وبما جاء به وصلتم إلى ثوابي وكرامتي والنظر إلى وجهي؛ والله أعلم.

(١) صحيح: الترمذي (٣٣٧٣) في الدعوات، وابن ماجه (٣٨٢٧) في الدعاء، وصححه الألباني في الموضوعين

ط ريان .

(٢) انظر السابق .

(٣) صحيح: لفظ ابن ماجه (٣٦٨٨) في الأدب، عن أبي هريرة، ورواه أحمد (٨٧ / ٤) .

ورواه الضياء عن علي كما في المختارة (٤١٣/٢) وحسن إسناده .

السابعة والعشرون: رُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: إنه شفاء من كل داء، وَعَوْنٌ عَلَى كُلِّ دَوَاءٍ. وأما ﴿الرَّحْمَنُ﴾، فهو عَوْنٌ لِكُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ، وهو اسم لم يُسَمَّ به غيره. وأما ﴿الرَّحِيمُ﴾، فهو لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

وقد فسره بعضهم على الحروف؛ فرُوِيَ عن عثمان بن عفان أنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فقال: «أما الباء فبلاء الله وروحه ونضرتة وبهاؤه وأما السين فسناء الله وأما الميم فملك الله وأما الله فلا إله غيره وأما الرحمن فالعاطف على البرِّ والفاجر من خلقه وأما الرحيم فالرفيق بالمؤمنين خاصة»<sup>(١)</sup>. ورُوِيَ عن كعب الأحبار أنه قال: الباء بهاءؤه والسين سناؤه فلا شيء أعلى منه والميم ملكه وهو على كل شيء قدير فلا شيء يعاذه<sup>(٢)</sup>. وقد قيل: إن كل حرف هو افتتاح اسم من أسمائه؛ فالباء مفتاح اسمه بصير، والسين مفتاح اسمه سميع، والميم مفتاح اسمه مليك، والألف مفتاح اسمه الله، واللام مفتاح اسمه لطيف، والهاء مفتاح اسمه هادي، والراء مفتاح اسمه رازق، والحاء مفتاح اسمه حلِيم، والنون مفتاح اسمه نور؛ ومعنى هذا كله دعاء الله تعالى عند افتتاح كل شيء.

الثامنة والعشرون: واختلف في وصل ﴿الرَّحِيمِ﴾ بـ ﴿الْحَمْدِ لِلَّهِ﴾؛ فرُوِيَ عن أم سلمة عن النبي ﷺ: «الرحيم الحمد» يُسَكِّنُ الميم ويقف عليها، ويستدئى بالألف مقطوعة. وقرأ به قوم من الكوفيين. وقرأ جمهور الناس: «الرحيم الحمد»، تُعْرَبُ ﴿الرَّحِيمِ﴾ بالخفض ويوصل الألف من ﴿الْحَمْدِ﴾. وحكى الكسائي عن بعض العرب أنها تقرأ «الرحيم الحمد»، بفتح الميم وصلة الألف؛ كأنه سكنت الميم وقطعت الألف ثم أقيت حركتها على الميم وحذفت. قال ابن عطية: ولم تُرَوَّ هذه قراءة عن أحد فيما علمت. وهذا نظر يحيى بن زياد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١].

\* \* \*

(١) موضوع: رواه المصنف بصيغة التمرّض (رُوِيَ) ورأيتُه بنحوه باطلاً عن أبي سعيد الخدري، كما ذكره ابن حبان في المجروحين، وقال ابن كثير: «غريب جداً»، وقد يكون صحيحاً إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات، والله أعلم.

(٢) انظر السابق.